وزارة التـــعليم الـــعالي والبـــحث العـــلمي
جامعة سعـــيدة – الدكتور مولاي الطاهر
كلـــية الآداب واللـــغات والفـــنون
قسم اللغـــة العربية وآدابها

الموضوع :

النُّحاة والقرآن الكريم "النّحو القرآني أنموذجاً"

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص لسانيات عامة

إعداد الطالبين:
- بن يحي صدام حسين
- جبوري خليفة

الأستاذ المشرف
أ.د. رويسات محمد

السادة أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرّتبة	المؤسّسة	الصّفة
أ.د. زحاف جيلالي	أستاذ التّعليم العالي	جامعة سعيدة	رئيساً
أ.د. رويسات محمّد	أستاذ التّعليم العالي	جامعة سعيدة	مقرّراً ومشرفاً
د. هاشمي الطاهر	أستاذ محاضر – أ–	جامعة سعيدة	ممتحناً

السنة الجامعية 2019م/2020م-1440هـ/1441هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى
والديّ الكريمين وإلى إخوتي
وأخواتي وإلى كل من ساهم في
إنجاح هذا العمل المتواضع .

بن يحي صدام حسين

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين وإلى عائلتي الصغيرة ، وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد .

كما أهدي هذاالعمل إلى كل أصدقائي وخاصة بن يحي صدام حسين وفضيل عبد القادر .

جبوري خليفة

الشكر والتقدير

قال الله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف :15].

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم من قريب ومن بعيد في إنجاح هذا العمل المتواضع ،وبالأخص الأستاذ المشرف أ.الدكتور "رويسات محمد" لما بذله من جهد علمي ومتابعة وحرص شديدين وما قدمه لنا من عون ومساعدة. كما نتوجه بالشكر إلى الهيئة التدريسية في قسم اللغة العربية ووآدابها وكذا الطاقم الإداري بدون استثناء.

مقدمة

مقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين، رسول الله الصَّادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...وبعد .

كانت البدايات الأولى للتفسير وللدراسات اللغوية القرآنية مورداً مُهمّاً في إظهار مدى التفاعل الكبير بين العربية ولغة القرآن عبر مؤلفات معاني القرآن : كمجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفرّاء ومعاني القرآن للأخفش الأوسط ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج .

ويبدو أنّ هذه المؤلفات أسهمت في العصر الحديث في إيجاد منحى خاص من النّحو اصطلح عليه بـــ(النّحو القرآني) الذي نادى به بعض الدارسين المعاصرين تفرقة له عن النّحو المألوف.

وقد أسهمت الدراسات اللغوية القرآنية الحديثة والمعاصرة في مدّ هذا التوجّه بالمزيد حتى أضحى في بعض التسميات نظرية هي (نظرية النّحو القرآني) التي أطلقها الدكتور أحمد مكي الأنصاري .

ورغم أنّ القرآن الكريم هو المصدر الأوثق في الاحتجاج ، وإقامة القواعد الكلية للسان العربي ؛ لأنّ لغته أفصح أساليب العربية على الإطلاق ، وهو نفسه حجّة في العربية بقراءاته المختلفة ، فقد تباينت آراء الباحثين حول موقف النّحاة من الاستشهاد بالقرآن الكريم ، إذ إنّ الدارسين المحدثين فريقان :

أحدهما – دعاة النّحو القرآني الذين يرون أنّ النّحاة العرب أسرفوا في إخضاع القرآن الكريم لقواعدهم ، وأنّهم أكثروا من التأويل خوفاً على قواعدهم من التداعي أمام الشاهد القرآني ، وأنّ نحوهم بُني أغلبه على مادة شعرية من أشعار العرب .

والثاني – المعارضون للنّحو القرآني الذين يرون أنّ النّحاة العرب كانوا على حقّ في منهجهم الذي اتّبعوه في مجال الاستشهاد .

ومن هنا فقد اخترنا متابعة الجهود التي دعت إلى اعتماد القرآن الكريم منطلقاً في الدرس النّحوي فقد دعا كثير من المعاصرين إلى النّحو القرآني ومن هؤلاء عبد العال سالم مكرم في كتابه(القرآن الكريم وأثره في الدراسات النّحوية) وأحمد عبد الستار الجواري في كتابه (نحو القرآن) ، ومحمد عبد الخالق عضيمة في كتابه الفريد (دراسات لأسلوب القرآن)، وأحمد مكي الأنصاري في كتابه (نظرية النّحو القرآني) ، وغيرهم ممن كانت دعوتهم تسير في نفس الاتجاه .

ولإنجاز هذا العمل انطلقنا من الإشكالية التالية" **كيف ساهم النّحو القرآني في إصلاح النّحو العربي وإعادة تشكيل بناء قواعده** ؟ ويندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات المتمثلة في: كيف كان موقف أصحاب هذا الاتجاه من منهج النّحاة الأوائل في وضع قواعد النّحو ؟ وما هي أهمّ حجج المعارضين للنّحو القرآني ؟ وهل النّحو القرآني هو بديل للنّحو العربي أم دعوة من دعوات التجديد والاصلاح ؟

ولبيان الوجه الحقّيقي في هذه المنازعة بين من ينسب للنّحاة إبعاد النّص القرآني عن مجال الاحتجاج النّحوي أو إهماله، وبين من لا يرون ذلك ويدفعون هذا القول بكافة السبل، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـــ (**النّحاة والقرآن والكريم: النّحو القرآني أنموذجاً**).

– أسباب اختيار الموضوع .

- الميل الشخصي للمواضيع المتعلقة بالقرآن الكريم .
- انعدام تناول المذكّرات والرسائل لهذا الموضوع الهام في الجامعات الجزائرية، وفي جامعتنا على الخصوص.
- أهميّة موضوع (النّحو القرآني) في مجال تطوّر النّحو العربي وتيسيره.
- كون هذه الدراسة تكتسي طابع الجدة.
- الرغبة في سبر أغوار هكذا مواضيع ومحاولة الاستفادة منها.

– الدراسات السابقة .

– الدعوة إلى النّحو القرآني دراسة (وصفية نقدية) ، رسالة ماجستير من إعداد : زوينة بنت علي بن عيسى الحارثية .

– نحو القرآن في دراسات المعاصرين ، (دراسة نقدية) أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه من إعداد :زكي فليح حسن الموسوي.

– أهداف البحث.

– سعي البحث إلى إنصاف نحاة العربية الأوائل، ورفع الحيف الذي لحق بهم ، وإعطائهم ما يستحقون من التقدير ، والاعتراف بفضلهم ، أنّهم هم أصحاب السابقة ، وأصحاب الإبداع ، وجدّة الفكرة .

- اكتشاف نوع الدراسات الحديثة للنّحو العربي ، ومقارنتها مع القديمة ، والموازنة بينهما ، دفاعاً عن النّحاة القدمى في ظل إنكار أغلب المحدثين لبراعتهم العلمية .

- الوقوف على حقيقة النّحو القرآني وهل يرقى لأن يكون بديلاً عمّا هو سائد عند النّحاة القدامى .

- محاولة الوقوف على أهم القضايا النّحوية التي طرحها أصحاب النّحو القرآني والتي من شأنها أن تساهم في تيسير النّحو العربي .

- أهم المصادر.

اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها:

1- دراسات لأسلوب القرآن لعبد الخالق عضيمة .

2- ضوابط الفكر النّحوي ، محمد عبد الفتاح الخطيب.

3- القرآن وأثره في الدراسات النّحوية لعبد العال سالم مكرم.

4- النّحويون والقرآن الكريم لخليل بنيان حسون.

5- نحو القرآن الكريم لعبد الستار الجواري.

6- النّحو القرآني في ضوء لسانيات النّص ، لهناء محمود اسماعيل .

7- الدفاع عن القرآن الكريم ضد النّحاة والمستشرقين لأحمد مكي الأنصاري .

– منهج البحث .

بطبيعة الحال فإنّ أيّ دراسة تقتضي منهجا معينا وكان المنهج المتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي .

– خطة البحث.

أمّا خطة البحث فتبعا لأهداف البحث، وبناء على ما توفر من مادّة علمية فقد جاءت على النّحو الآتي: مقدمة ،مدخل ،فصلين ،وخاتمة ، حيث قسمنا الفصل الأول إلى أربعة مباحث، وقد عنوناه بـــ **النّحو القرآني : دواعي نشأته أسسه ومظاهره** ، حيث تنولنا في المبحث الأول : النّحو القرآني المفهوم والمصطلح ،البدايات الأولى لظهور هذا المصطلح والتأسيس له إلى غاية شيوعه بين الباحثين ومحاولة التنظير له ، وأما المبحث الثاني: دواعي نشأة النّحو القرآني ومصادره ،فقد أتينا على ذكر أهم الدواعي التي أدت إلى نشأة هذا الفكر وأهم المصادر التي ارتكز عليها، المبحث الثالث : أسس ومظاهر النّحو القرآني، أمّا في هذا المبحث فقد أوردنا أهم الأسس التي انبنى عليها النّحو القرآني، المبحث الرابع : وقد تضمن هذا المبحث نماذج من النّحو القرآني ، أمّا فيما يخص **الفصل الثاني** فقد تضمن ثلاثة مباحث ،والمعنون بـــ **النّحو القرآني بين القبول والرفض** ، المبحث الأول: أدلة الدّاعين إلى النّحو القرآني ، وقد تضمن هذا المبحث الأدلة التي ساقها أصحاب النّحو القرآني لإثبات صحة دعواهم القائلة بأنّ النّحاة الأوائل لم يستشهدوا بالقرآن إلاّ نادراً المبحث الثاني :حجج المعارضين للنّحو القرآني ، وقد تضمن هو الآخر الحجج التي أوردها المعارضون للنّحو القرآني، مدافعين بذلك عن النّحاة الأوائل من جهة ورافضين للمقولة السابقة من جهة أخرى، المبحث الثالث : موازنة

وترجيح ،وقد حاولنا في هذا المبحث إجراء موازنة بين أدلة الفريقين للوقوف على صحة هذه الحجج ومدى رجاحتها للوصول إلى قراءة جليّة وصورة واضحة فيما يتعلق بهذا الموضوع .

ثم خاتمة كانت بمثابة حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث .

- صعوبات البحث .

ومن طبيعة الأمور أن لا يخلو كل بحث من صعوبات تعتريه وقد تمثلت هذه الصعوبات فيما يلي:

1- شساعة الموضوع وقلة الدراسات فيه .

2- شحّ المصادر والمراجع .

3- صعوبة الاتصال بين الباحثين من جهة والأستاذ المشرف من جهة أخرى وذلك بسبب الظروف الصحية القاهرة (جائحة كورونا) .

ولكن بالرغم من كل هذه الصعوبات إلاّ أنّنا استطعنا بفضل الله عزّ وجل ثم بتوجيهات الأستاذ المشرف الذي كان خير معين لنا أن نتم هذا البحث .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل لسماحة الأستاذ الدكتور رويسات محمد على المجهودات التي بذلها من أجل إنجاح هذا العمل المتواضع سائلين الله عزّ وجل أن يطيل في عمره وأن ينفع به طلبة العلم .

مدخل

مدخل :

إنّ أدلة النّحو من سماع وقياس وإجماع واستصحاب حال هي الأصول التي تعدّ أعمدة للاحتجاج اللغوي والتي أُصّلت من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب.

وقد أجمع العلماء على أنّ نصوص القرآن الكريم هي المصدر الأساس في تقعيد اللغة العربية.

فالقرآن الكريم أعلى درجات الفصاحة والبيان ، وألفاظه لبّ كلام العرب وزبدته ، وواسطته ، وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، وقد أخذ النّحاة الشاهد القرآني بلا أدنى خلاف بينهم ، لأنّه من لدن عزيز حكيم ، فهو أعلى درجات الفصاحة وأبلغ كلام نزل وأوثق نصّ وصل ، والقرآن الكريم الأصل الأول لمصادر الاستشهاد ، وهو الدعامة التي ترتكز عليها مصادر الاستشهاد الأخرى ، فالشعر العربي الجاهلي أو الإسلامي أثر من آثار القرآن الكريم ولولا القرآن الكريم ما جمع هذا الشعر .

والقراءات هي الوجوه المختلفة التي سمح النّبي صلى الله عليه وسلم بقراءة النّص القرآني بها قصداً للتيسير، والتي جاءت وفقاً للهجة من اللهجات العربية القديمة السائدة وقتئذٍ.

أولا: مفهوم القرآن الكريم.

أ- التعريف اللغوي :

معنى لفظة "**القرآن**" لغة: القرآن في الأصل مصدر (قرأ).

يقال: قرأ قراءة وقرآناً ،ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[القيامة :18.17]

أي إنّ علينا جمعه في صدرك ، وجاء في لسان العرب : وقرأت الشيء قرآناً : جمعته وضممت بعضه إلى بعض ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، وما قرأت جنيناً قط ، وقال أكثر النّاس معناه : لم تجمع جنيناً[1].

ب- التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم :

- تعريف العلماء:

1- **أبو حامد الغزالي (ت505هـ)** :«وحدّ الكتاب ما نُقِل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة نقلاً متواتراً»[2].

2- **الزركشي (ت794هـ)** «هو الكلام المنزل للإعجاز بآية منه المتعبد بتلاوته »[3].

يقول الإمام الزرقاني بعدما تعرض لأنواع التعريفات : اختلف علماء الأصول في تعريف القرآن ، فمنهم من أطال في التعريف وأطنب ، بذكر جميع خصائص القرآن الممتازة ، ومنهم من اختصر فيه و

1- ابن منظور، أبو الفضل بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (د.ت)، ج1،ص128.

2- الغزالي ، أبو حامد ، المستصفى من علم الأصول ، دار الفكر ، (د.ت) ،ج1، ص:101.

3- الزركشي،بدر الدين،البحر المحيط في أصول الفقه،دار الصفوة للطباعة والنشر ،مصر،ط2،1992، ج1ص:441.

أوجز ، ومنهم من اقتصد وتوسط ، فالذين أطنبوا عرّفوه (بأنّه الكلام المعجز المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته).

وعلى هذا الاصطلاح أكثر العلماء منهم علماء الأصول والفقه واللغة العربية.فهذا التعريف جمع الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم[1].

إنْ سلّمنا بأنّ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان على حدّ قول الإمام الزركشي :"فالقرآن : هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالبيان والإعجاز ، والقراءات : اختلاف ألفاظ الوحي المذكور ، في كتابة الحروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف وتثقيل وغيرها "[2] فإنّنا نفتح باب طعن في القراءات المتواترة التي يجب اعتقاد قرآنيتها .

وإنْ قلنا أنّ القرآن والقراءات –بدون قيد– حقيقتان بمعنى واحد على رأي ابن دقيق العيد، نوشك أن نعتقد بقرآنية ما ليس بقرآن، وهي القراءات الشاذة.

ولذلك يجب تقييد (القراءات) بالتواتر التي أجمعت الأمّة على التلقي لها بالقبول باعتبارها قرآناً ، وهي تشمل معنى الإعجاز ، والتعبد بالتلاوة ، وصحة الصلاة بها وقطعيّة ثبوتها ، ونزولها وأمّا ما شذّ منها فليس بقرآن إجماعاً [3].

ولذلك نستخلص بأنّ إطلاق لفظ (القراءات) على عمومه مغاير للقرآن في حين أنّ القرآن والقراءات المتوترة بمعنى واحد.

1- الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ،2008، ج1، ص: 35/34.

2- الزركشي ، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ج1، ص:138.

3- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ،بيروت،1977م، ط10 ،ص:254.

فكلّ ما هو قرآن فهو من القراءات، وليس كل ما هو من القراءات بقرآن.

ثانياً : مفهوم القراءات:

أ- **القراءات لغة** : جمع قراءة ، وهي مصدر قرأ : قراءة وقرآناً ، بمعنى : تلا تلاوة ، قال ابن منظور : ومعنى قرأت القرآن : لفظت به مجموعاً أي : ألقيته.[1]

ب- **القراءات القرآنية اصطلاحاً** : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًّا لناقله .[2]

وقد وضع علماء القراءات ضوابط يزنون بها القراءات، لمعرفة القراءات المقبولة من الشاذّة.

ج- **ضوابط القراءة الصحيحة** : وهي كما ذكرها ابن الجزري [3]:

1- موافقة للعربية ولو بوجه.

2- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

3- صحة السند.

الأول – موافقة العربية ولو بوجه: يراد به وجه من وجوه النّحو، ويحكم هذا الشرط قاعدة مهمة عند القرّاء وهي أنَّ القراءة سنَّة متبعة، يأخذها الآخر عن الأول.

الثاني – موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً : يقصد بها المصاحف التي بعث بها عثمان بن عفّان –رضي الله عنه- إلى الأمصار . والمراد من موافقتها لأحد المصاحف : ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ [البقرة :116].

1- ابن منظور ، أبو الفضل مكرم، لسان العرب ، (قرأ) ،ج1، ص128.

2- ابن الجزري ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1999، ط1، ص:9.

3- المصدر نفسه، ص:39.

فقد قرأها ابن عامر بغير واو قبل (**قالوا**) ؛ لعدم وجودها في المصحف الشامي .

وكقراءة ابن كثير في التوبة ﴿ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ﴾[التوبة :100].بزيادة "من" بعد (تجري) وذلك لثبوتها في المصحف المكي .

والمراد من قوله (ولو احتمالاً): ما يحتمله رسم المصحف، كقراءة من قرأ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة :4].بالألف فإنّها كتبت بغير ألف في جميع المصاحف.

الثالث: صحة السند : أن تكون القراءة مروية عن العدل الضابط عن مثله وهكذا حتى تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .من غير شذوذ ولا علة قادحة .واشترطوا فوق ذلك التواتر وهو أن يروي القراءة جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى الذي جمع الضوابط (الأركان) الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة حيث أجمع النّاس على تلقيها بالقبول ، وهم : أبو جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، أبو عمرو ، ويعقوب ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف[1].

ثالثا: الاستشهاد والاحتجاج والتمثيل: إنَّ الاستشهاد من فعل "شهد" يشهد شهادة ، أي خبر قاطع ، واستشهده : سأله الشهادة .

يقول ابن منظور: الشاهد: العالم الذي يبيِّن ما علمه ، واستشهده سأله الشهادة ، والشهادة خبر قاطع [2].

فالمعنى اللغوي العام للاستشهاد هو طلب الشهادة.

1- ابن الجزري ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مرجع سابق ، ص:40.

2- ابن منظور، أبو الفضل مكرم، لسان العرب، كلمة (ش.هـ.د)، ج2، ص:274-275.

أمّا المعنى الاصطلاحي للشاهد فهو : إثبات صحة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب بدليل نقلي صحَّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة [1].

ويرى محمد عيد أنَّ الشاهد في المصطلح النّحوي : ما يسوقه النّحاة من أدلة لغوية يستنبطونها من لغة العرب الفصحاء شعراً كانت أم نثراً لتكون شاهدة على قواعدهم النّحوية[2] .

والاستشهاد أخص من الاحتجاج ؛ إذْ الاستشهاد يغلب إطلاقه على : الاستدلال بالشواهد النقلية ، وهو ما يعرف على مستوى التنظير النّحوي بـــ(السماع)،ويعني به: ماثبت في كلام من يوثق بفصاحته ، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن ، وكلام نبيّه صلى الله عليه وسلم وكلام العرب نظماً ونثراً .

أمَّا الاحتجاج فهو أعمّ من الاستشهاد ؛ إذ يطلق في الغالب على : مطلق الاستدلال ، سواء أكان بالنقل أم بالعقل ، فالنّحو بحاجة إلى الحجّة ، فإنّ احتاج إلى الحجة العقلية لجأ إلى القياس ، وإن احتاج إلى الحجة النقلية وجد حاجته في السماع.

أما فيما يخص التمثيل أو المثال في الدرس النّحوي هو : «تركيب مصنوع يضعه النّحاة تطبيقاً لقاعدة نحوية ومثالاً عليها ... أو هو الوسيلة التي يلجأ إليها المتكلم لتوضيح فكرته وتطبيقاً لصحة قوله»[3] .

1- سعيد الأفغاني، في أصول النّحو، المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987م ، ص:06.

2- محمد عيد ، الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، رواية اللغة في الاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3، 1988م ، ص: 86.

3- حسن خميس الملخ ، رؤية لسانية في نظرية النّحو العربي ،دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1،2007،ص:144.

الفصل الأول: النّحو القرآني : دواعي نشأته أسسه ومظاهره ..

-المبحث الأول: النّحو القرآني المفهوم والمصطلح .

-المبحث الثاني: دواعي نشأة النّحو القرآني ومصادره.

- المبحث الثالث : أسس ومظاهر النّحو القرآني.

-المبحث الرابع : نماذج من النّحو القرآني.

الفصل الأول: النّحو القرآني : دواعي نشأته أسسه ومظاهره .

المبحث الأول: النّحو القرآني المفهوم والمصطلح.

أولاً: تأسيس المفهوم الاصطلاحي :"ظهرت في السنوات الأخيرة دراسات تحمل مصطلح (**النّحو القرآني**) ،ومصطلح (**نحو القرآن الكريم**) ، ومصطلح (**نحو النّص القرآني**) ، وقد مهدت لظهور هذا المصطلح وتطوره جملة من المفاهيم ، كشفت عن تطور المصطلح من مبدأ استعماله والكيفية التي نشأ عليها ، حتّى شيوعه بين المحدثين .

إذ لم يكن مصطلح النّحو القرآني ، أو نحو القرآن الكريم دقيقاً فيما يراد به أو واضحاً في الفهم لدى الباحثين ، على الرغم من كثرة ما كُتب فيه ظلّ مصطلحاً تتجاذبه تفسيرات كثيرة تَنْبَعُ من قراءات متباينة في التراث النّحوي ، فلم يرد هذا المصطلح عند النّحويين الأوائل بل كان مصطلح النّحو عندهم عاما غير مخصوص في نحو من الأنحاء التي عرفت في العصر الحديث كنحو التيسير، ونحو التجديد، والنّحو الشكلي، ونحو النّص، والنّحو القرآني " [1].

يتضح مما سبق أنّ دعاة النّحو القرآني يرون أنّ مصطلح النّحو القرآني لم يتناوله النّحاة القدامى و لم يرد في كتبهم وإنّما ظهر لدى النّحاة المحدثين، غير أنّ هناك من يرى بأنّ مصطلح النّحو القرآني عُرف في الدراسات النّحوية القديمة وفي هذا تقول الدكتورة هناء محمود إسماعيل "إنّ مصطلح النّحو القرآني كان معروفاً في الدراسات النّحوية القديمة ضمناً لا تصريحاً ، وقد عُرف اصطلاحاً في العصر

1- هناء محمود اسماعيل ،مصطلح النّحو القرآني ،دراسة تأصيلية في المفهوم والاصطلاح ،الجامعة العراقية ، كلية الآداب ،مجلة مداد الأدب ، العدد 14، ص:120-121.

الحديث بـــ (**نحو القرآن**) أو (**النّحو القرآني**) " [1]."ومن المفاهيم النّحوية القرآنية التي تعارف عليها النّحاة القدامى وأسّسوا لها ، ومن ثم اعتمدوها أسساً مهمة في تقرير الأحكام النّحوية ، واستنباط القواعد النّحوية القرآنية اعتمادهم قرينة علم المخاطب بالمعنى في الحذف بناء على التواضع العرفي بين المخاطب والمتكلم"[2].

أفاد الدارسون المعاصرون من معطيات التراث القديم وفكره الواسع ووضوح منهجه بإيجاد مصطلح خاص ومستقل بهذا الفكر وهو (**نحو القرآن**) ، وتحديد مفهومه وقواعده فضلاً عن ظهور الدراسات المستقلة بهذا اللون من التفكير النّحوي وبهذا حاول هؤلاء المعاصرون وضع نظرية أسموها (**نظرية نحو القرآن**)[3].

وظهرت لديهم مؤلفات تعنى بالكشف عن منهج جديد في الدراسات النّحوية وتحديد مصطلح خاص فكان تارة مصطلح (**النّحو القرآني**) الذي ظهر عند الدكتور عبد العال سالم مكرم والدكتور أحمد مكي الأنصاري ، وتارة كان مصطلح (**نحو القرآن الكريم**) وظهر أيضاً عند عبد الستار الجواري والدكتور مهدي المخزومي والدكتور خليل بنيان والدكتور كاصد الزيدي .

1- هناء محمود اسماعيل ،النّحو القرآني في ضوء لسانيات النّص ،دار الكتب العلمية ، ط1، 2012 م، ص: 32.

2- هناء محمود اسماعيل ،مصطلح النّحو القرآني ،دراسة تأصيلية في المفهوم والاصطلاح ،مرجع سابق ،ص:121.

3- زكي فليح حسن الموسوي ، نحو القرآن في دراسات المعاصرين (دراسة نقدية) أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، إشراف : عبد الجبار عبد الأمير هاني،جامعة البصرة،كلية الآداب ، العراق، 2013-2014م ص:19.

ولذلك ارتفعت الأصوات بالدعوة إلى مراجعة النّحو وقواعده في ضوء لغة القرآن ورفض التقديرات والتأويلات والقول بالأحكام القليلة أو الشاذة في كلام الله تعالى والإبقاء على ما جاء موافقاً لظواهر القرآن وإهمال ما جاء مخالفاً له[1].

على حسب ما ذكره أصحاب النّحو القرآني فإنّ مصطلح النّحو القرآني لم يظهر هكذا فجأة وإنّما مهدت لظهوره دعوات ولدتها حاجة العصر المتزايدة إلى إحياء هذا المسلك من مسالك التفكير النّحوي .

ثانياً: إنتاج المصطلح وصناعته عند المحدثين:

ظهر مصطلح النّحو القرآني أول ما ظهر عند الدارسين المحدثين فهم أول من أشار إليه اصطلاحاً وقد قسمت الدراسات النّحوية المعاصرة الباحثة فيه –النّحو القرآني – إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: دراسات نحوية مستقلة عُنيت بالكشف عن اتجاه النّحو القرآني في النّحو العربي ، فبحثت مفهومه ، وظواهره وأصوله ، وأول دراسة وصلت إلينا هي دراسة الدكتور عبد العال سالم مكرم الموسومة بـــ(**القرآن الكريم وأثره في الدراسات النّحوية**) سنة **1965**م.ويشير مصطلح (**النّحو القرآني**) لديه إلى القواعد النّحوية المتأثرة بالقرآن الكريم وقراءاته المتعددة ،أو المستنبطة منه "فالمقصود بالنّحو القرآني أنّ القرآن الكريم قامت على أسسه قواعد وبنيت على نهجه أصول سواء أكانت معه شواهد أخرى تدعم هذه القواعد أم لم تكن ؟ وأسواء كانت هذه الأصول تتفق مع

1- عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، مصر، ط1، 1966، ص:108-109.

أصول النّحاة أم لا تتفق ؟ لأنّ القرآن بقراءاته المختلفة أغني قواعد النّحو وزاد من قيمتها وأمدها بأمتن القواعد وأحسن الأساليب "[1].

ويأتي عبد الستار الجواري فيما بعد ليحدد الأسس الفكرية لهذا التوجه من خلال ما أورده في كتابه (**نحو القرآن**) إذ يقول :"فدراسة النّحو القرآني هي المفتاح الذي ينفتح به كثير من مغاليق النّحو التي استعصت على كثير ممن تصدى لتيسيره وتهذيبه ،وتمهيد سبله المتوعرة المتشعبة "[2].

هذه الأسس الفكرية الجديدة التي تحدث عنها الجواري قائمة على الدراسة الشاملة للتراكيب ، وفهم أساليب التعبير القرآني ومراعاة معاني النّحو وأساليبه و القرائن المعنوية والسياقية المشتركة بين منشئ الكلام ومتلقيه وكذا تجنب كافة التقديرات التي أثقلت كاهل النّحو .

أخذ مصطلح النّحو القرآني فيما بعد أبعاده التأسيسية والتنظيرية على يد الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه (**نظرية النّحو القرآني**) ، " فهو أول من نظّر لهذا المصطلح ، ووضعه في إطار نظرية لها مقوماتها ومرتكزاتها ، وتتبّع نشأتها وتطور مقوماتها ،إذ بدأ أولاً بالتفريق بين النّحو القرآني ، والنّحو غير القرآني فالنّحو القرآني ينقسم إلى قسمين:

قسم ارتضاه النّحويون، ووافقوا عليه وعلى نظائره من كلام العرب، وقسم لم يرتضوه، ولهذا تأوّلوه، وعارضوه معارضة صريحة أو خفية.

أمّا المعيار الدقيق لمعرفة هذا النوع من النّحو القرآني فهو اصطدام القاعدة النّحوية بقراءة من القراءات.

1- وفاء عباس فياض ، النّحو القرآني في ضوء منهج جديد (المدونة المغلقة) ، جامعة كربلاء ، كلية العلوم الإسلامية ، مجلة الأستاذ ، العدد222- المجلد الأول – 1438هـ/2017م،ص:99.

2- أحمد عبد الستار الجواري ، نحو القرآن ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ط2، 1974، ص: 6.

ولبّ النّظرية يقوم على أساس القرآن الكريم، وقبول أساليبه، واستعمالاته الخاصّة، وإنّ تصحيح النّحو يجب أن يكون بقبول القراءات لا العكس..."[1].

"إنّ ما ذهب إليه الدكتور يُعد اتجاهاً من اتجاهات الفكر النّحوي القرآني، وأحد أسسه المهمة الأمر الذي يجعلنا نقول أنّ هذه النظرية لم تستوعب جميع ملامح التفكير النّحوي القرآني ودقائقه، إذ تناولته من جانب واحد وهو اتجاه تصحيح النّحو بالقراءات"[2] .

وكان أمر تعارض القاعدة النّحوية واصطدامها بالنص القرآني قد شغل النّحاة طويلاً ، وجعلهم يقفون مواقف متباينة ، ومتناقضة أحياناً لذا جاءت دراسة الدكتور خليل بنيان (**النّحويون والقرآن الكريم /2002م**)، في تحديد مواقف النّحاة من القرآن ، واستدرك عليهم "أنّهم يذهلون وهم عاكفون على إقامة هذا العلم –أسسه وقواعده وأصوله – عن حقيقة أنّهم بين يدي القرآن ، كلام الله تعالى الممثّلُ بدلائل إعجازه الأسمى والأعلى والأقوم والأقوى في الألفاظ والأساليب والأحكام "[3].

الاتجاه الثاني : دراسات مستقلة عنيت بالكشف عن أسس التفكير النّحوي القرآني واتجاهاته وخصائصه الأسلوبية .

اتخذت هذه الدراسات من النّحو القرآني وسيلة لتيسير مسائل النّحو وقراءة النّحو من خلال القرآن الكريم ، ودراسة النّحو على أساس المعنى ، والنظر الجديد في وصف اللغة وصفاً جديداً قائماً على

1- هناء محمود اسماعيل ،مصطلح النّحو القرآني ،دراسة تأصيلية في المفهوم والاصطلاح، مرجع سابق ،ص: 126.

2- هناء محمود اسماعيل ، النّحو القرآني في ضوء لسانيات النّص ،مرجع سابق، ص:73.

3- المرجع نفسه، ص: 73.

أساس المعاني لا الأشكال ، واعتماد عناصر غير لفظية في تقرير أصول النّحو ومنها : المقام ، والقرائن ، والإيحاء بالمعنى [1].

يتضح لنا أنّ هذه الدراسات أولت اهتماماً كبيراً للمعنى ، وكذا طرق التعبير الجمالي والربط بين معاني الكلام .

وفي ختام هذا المبحث يمكننا القول بأنّ مصطلح النّحو القرآني ظهر أول ما ظهر عند النّحاة المحدثين وأنّ هذا المصطلح لم يكن معروفاً عند النّحاة الأوائل تصريحًا وإنّما تلميحاً ،وقد كان الدافع وراء ظهور هذا المصطلح هو الدعوات الدّاعية إلى تصحيح منهج النّحو العربي ، وإعادته إلى مساره الصحيح الذي حاد عنه النّحاة الأوائل حسب زعم أصحاب هذ التوجه . وقد انقسمت الدراسات الباحثة في هذا الفكر النّحوي إلى اتجاهين كما أسلفنا الذكر ، اتجاه عُني بالكشف عن أصول المصطلح ومفهومه ومظاهره ، واتجاه آخر عُني بالكشف عن أسس التفكير النّحوي القرآني واتجاهاته.

1- هناء محمود اسماعيل ، النّحو القرآني في ضوء لسانيات النّص، مرجع سابق ،ص:78.

المبحث الثاني: دواعي نشأة النّحو القرآني ومصادره:

أولاً: دواعي نشأة النّحو القرآني .

إنّ الدعوة إلى النّحو القرآني اتضحت معالمها وكثر دعاتها في العصر الحديث، وقد كان لها مظهران:

الأول: قد تضمن نقد المنهج الذي قام عليه النّحو.

الثّاني: الدعوة إلى اعتماد القرآن الكريم منطلقاً في بناء النّحو، واتصف هذا المظهر بموقف عام من غير تقديم خطة.

وقد ظهرت الدعوة إلى اعتماد (نحو القرآن) في البحث اللغوي لدى المعاصرين بتأثير استقلال العلوم واتّضاح مناهج البحث فيها، وكان لهذه الدعوة أسبابها وبواعثها، أهمّها:

1- تمثّل بناء منهجية في فهم النّص القرآني مستندة إلى حقيقة قرآنية وتُعتَمد أساساً مهماً في إيجاد حلول لمشكلات الموروث النّحوي.

2- ارتباط التفكير بمسألة نحو القرآن بدعوات التيسير النّحوي ابتداءً بإبراهيم مصطفى وانتهاءً بالنّحاة المعاصرين فهو أحد سبل التيسير على الدارسين [1].

3- التحرّر من فكرة التمسك بالقاعدة النّحوية وإخضاع النّص القرآني لها، وتقييد النّحو بقواعد العقل والمنطق.

1- أحمد عبد الستار الجواري، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، 1984، ط2، ص:14.

4- يرى دعاة نظرية (نحو القرآن) أنّ هناك قصوراً في نحو العربية ولا سيما نحو العصور المتأخرة عن الإيفاء بوظيفته وتلبية حاجات المتعلمين الفكرية المعاصرة والتي تحتاج إلى لغة قادرة على التواصل الفكري ،وتحيطها الدقة والإتقان لتكون أداة للتعلم ، وهو ما يتمثل بـــ(لغة القرآن الكريم)[1].

5- من الدواعي الأخرى التي عرضها أصحاب هذه النّظرية قصور المناهج السائدة في تحليل النّص القرآني في ضوء خصوصية الخطاب وأساليبه المعجزة ، لذا برزت الحاجة إلى بناء منهج يتعامل مع النّص القرآني في ضوء التطورات الحاصلة في مناهج دراسة القرآن الكريم ، وتطور مناهج البحث اللّسانية في العقود الأخيرة بظهور (نحو النّص)، وأسلوبية القرآن الكريم ،واعتماد علم الدلالة في دراسته [2].

6- ظهور اتجاه واضح في البحث النّحوي وهو اتجاه العناية بدراسة بناء الجملة وأساليب التعبير عن المعاني، ومحاولة في فقه النّحو، فهو إذن يدور على المعنى أساساً وبناءً [3].

7- دفاعاً عن القرآن بـــ"اتخاذه المصدر الأول في وضع القاعدة النّحوية وتقديمه على أيّ مصدر آخر من مصادر السّماع ، وبخاصة مصدر الشعر الذي استبدّ بالنّحاة من قديم الزمان ؛فأكثروا منه وعوّلوا عليه ،فاحتل المكانة الأولى في النّحو المألوف ، ومن هنا جاء الخلل ولهذا وجب الإصلاح [4].

1- المرجع السابق، ص:14.

2- عمر أبو خرمة ، نحو النّص ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن ، 2004، ط1، ص:96.

3- فاضل صالح السامرائي ، معاني النّحو ، دار الفكر ، الأردن ، 1420هـ /2000 ، ج1، ص:09.

4- محمد عبد الفتاح الخطيب ، ضوابط الفكر النّحوي ، مرجع سابق ، ص:276.

ثانياً: مصادر النّحو القرآني:

اعتمد رواد هذا الاتجاه على مصادر تراثية في التأصيل لأفكارهم ككتب التفسير (كتاب الزمخشري وتفسير ابن عطية ، كتاب التحرير والتحبير لابن النقيب) ، وكتب غريب القرآن (غريب القرآن ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى)، وكتب معاني القرآن (معاني القرآن للكسائي، معاني القرآن للفرّاء ، معاني القرآن للزّجّاج ، ومعاني القرآن لأبي جعفر النّحاس) وكتب إعراب القرآن (إعراب القرآن لأبي جعفر النّحاس ، إعراب القرآن لابن خالويه ، إعراب القرآن للعكبري ، إعراب القرآن للسمين الحلبي)،وكتب النّحو (كتاب سيبويه ، وكتاب المغني لابن هشام ،...)[1]، وكتب القراءات (الحجة لأبي علي الفارسي ، الحجّة لابن خالويه ، المحتسب لابن جنّي ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب)[2].

أمّا المصادر الحديثة للنّحو القرآني فأهمّها: [3]

1- دراسات لأسلوب القرآن لمحمد عبد الخالق عضيمة .

2- نظرية النّحو القرآني ، نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية لأحمد مكي الأنصاري .

3- المهارات اللغوية وعروبة اللسان لفخر الدين قباوة .

4- النّحو القرآني قواعد وشواهد لجميل أحمد ظفر.

1- عبد العال سالم مكرم ، القرآن وأثره في الدراسات النّحوية ، مؤسسة علي جراح الصباح ، الكويت ،ط2، 1978،ص: 215-305.

2- عبد العال سالم مكرم ، أثر القراءات القرآنية في الدراسات النّحوية ، مؤسسة علي جراح الصباح ، الكويت ، 1978، ص: 110-131.

3- محمد عبد الفتاح الخطيب ، ضوابط الفكر النّحوي ،مرجع سابق، ص:275-281.

5- النّحو القرآني في ضوء لسانيات النّص لهناء محمود إسماعيل .

6- أثر القرآن والقراءات في النّحو العربي لمحمد سمير نجيب اللبدي .

7- النّحويون والقرآن لخليل بنيان الحسون .

8- القرآن وأثره في الدراسات النّحوية لعبد العال سالم مكرم.

9- نحو القرآن، ونحو التيسير لأحمد عبد الستار الجواري.

10- النّحو القرآني بين الفراء والزجاج والزمخشري لسعدون أحمد علي .

11- معاني النّحو لفاضل صالح السامرائي .

12- دراسات نقدية لكاصد الزيدي .

13- التأويل النّحوي في القرآن الكريم لعبد الفتاح أحمد الحموز.

وقد تناولت الباحثة دير نسرين معظم هذه المصادر الحديثة للنّحو القرآني في دراستها لكتاب "الاتقان في النّحو وإعراب القرآن" لصاحبه "هادي نهر "[1].

ثالثاً: أشهر رواد النّحو القرآني .

ارتفعت في العصر الحديث أصوات تنتقد القواعد التي وضعها النّحاة ، وتنادي بنحو متحرر من العوامل والتقدير وكثرة التفريعات والاستثناءات ؛ نحوٌ مستخلص من لغة يؤيّدها السماع ، نحوٌ

1- دير نسرين ،" الاتقان في النّحو وإعراب القرآن " لـــ هادي نهر " دراسة نقدية ، رسالة ماستر ، إشراف : هشام بلخير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، الجزائر ، 2017-2018،ص:55.

منطلقه القرآن ، وإثر ذلك وقف باحثون كُثر على موضوعات في القرآن ودرسوها في كتب ورسائل علمية ودعوا إلى استثمار ما وقفوا عليه في النّحو العربي .

1-محمد عبد الخالق عضيمة (ت1954م):

لا نجد في العصر الحديث ، دراسة متجردة للقرآن الكريم كما فعل العلامة الأزهري محمد عبد الخالق عضيمة (1910- 1984) شيخ العربية ، وإمام نحاة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين ؛ بكتابه العمدة النادر "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" في أحد عشر مجلداً ، الذي نال عنه جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات اللغوية والأدبية في الثمانينات من القرن الماضي .

قدّم عضيمة أفضل عمل لغوي ستبقى لبناته ، ونظرياته وبنياته من كلام الله العزيز ، مصححاً للنّحاة ما وقعوا فيه من أخطاء ، استغرق الشيخ عضيمة ربع قرن في تأليفه مجاوراً للحرم المكي الشريف ، كعادة القدماء [1]،وهو جهد تعجز الجامعات، والمجامع اللغوية عن إنجازه على غرار ما قاله محمود محمد شاكر في تصديره لهذا الكتاب: "فماذا يقول القائل في عمل قام به فرد وحده لو قامت عليه جماعة لكان لها مفخرة باقية ؟ فمن التواضع أن يسمّى هذا العمل الذي يعرضه عليك هذا الكتاب "معجماً نحوياً صرفياً للقرآن الكريم" ويضيف قائلاً: «وهذا العمل الذي تولاه أستاذنا الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة والذي أفنى فيه خمسة وعشرين عاماً طوالاً، والذي يعرض عليك منه هذا القسم الأول إنّما

1- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن ، دار الحديث ، القاهرة ، 1425هـ/2004م، ج1، ص: (د) من تصدير الكتاب .

هو جزء من عمل ضخم لم يسبقه إليه أحد، ولا أظن أنّ أحداً من أهل زماننا كان قادراً عليه بمفرده »[1].

وقد كان للشيخ عضيمة جهود سابقة على هذا الكتاب ، ومنها تحقيق كتاب المبرد "المقتضب"، ثم ما لبث الشيخ عقب ذلك وضع فهارسه لكتاب سيبويه ، وكان هذا سببا في شهرته بين الباحثين في مجال اللغة ، ثم بدأ الشيخ في إصدار كتابه الكبير "دراسات لأسلوب القرآن" فشاع بين أهل العلم ذكره ،وانتشر أمره ثم كان الختام منحه جائزة الملك فيصل عام 1403هـ الموافق لـ1983م ثم ينتقل بعد هذا إلى رحمة الله في العام الذي يليه مباشرةً أي عام 1984م .

ومن جملة المآخذ التي يأخذها المؤلف عضيمة على النّحويين ما ذكره من أنّ سيبويه استشهد بالشعر أكثر من استشهاده بالقرآن .ومن هذا القبيل ما ذكره من أنّ : « تعويل النّحويين على الشعر ثغرة نفذ منها الطاعنون عليهم ، لأنّ الشعر روي بروايات مختلفة ، كما أنه مركب ضرورة »[2].

ويضيف عضيمة بأن للنّحويين قوانين كثيرة لم يحتكموا فيها لأسلوب القرآن ، فمنعوا أساليب كثيرة جاء نظيرها في القرآن من ذلك :

- ذكر سيبويه قبح (كلّ) المضافة إلى نكرة في أن تلي العوامل ، فقال :274:1 « أكلت شاة كلّ شاة حسن ، وأكلت كلّ شاة ضعيف ».

1- المرجع السابق ، ص:(د) .

2- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن ، ج1 ،مرجع سابق ، ص: 02.

جاءت (كلّ) المضافة إلى نكرة مفعولاً به في 36 موضعاً في القرآن [1].

- قال سيبويه في كتابه (ج1، ص:74) : « القراءة لا تخالف لأنّها سنّة » . ولم يمنعه هذا من ردّ بعض القراءات قال عن همز " نبيّ " و النّبي..."

1- «وقد بلغنا أنّ قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون(النّبي، وبريّة)وذلك قليل رديء»(ج2، ص:170)،وقال الرضي في شرح الشافية (ج3،ص: 35): مذهب سيبويه أنّ ذلك رديء ، مع أنه قرئ به ، ولعل القراءات السبع عنده ليست متواترة ، وإلاّ لم يحكم برداءة ما ثبت أنّه من القرآن الكريم ، تعالى عنها.

2- فيغفر لمن يشاء .

أدغم أبو عمر الراء في اللام ، وهي سبعية . النشر (ج2،ص:237). ومنع سيبويه هذا الادغام فقال في كتابه (ج2،ص412) « الراء لا تدغم في اللام »[2].

ويوضح عضيمة أنّه سجل كثيراً مما فات النّحويين ، وعارض تلحين النّحويين للقراء الأئمة، وردّ عليهم وذكر أنّه أوقفته دراسته للقرآن على أنّ القرآن خلا مما يأتي:

1- توكيد فعل الأمر بالنون مع كثرته في القرآن: وقع المضارع المثبت كثيراً بعد أدوات الاستشهاد وخلا من التوكيد إلاّ في آية واحدة ﴿ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾[الحج :15].

2- لم يقع خبر (لا) النافية للجنس اسماً صريحاً مفرداً، وإنّما جاء ظرفا وجاراً ومجروراً.

1- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن ، ج1 ،مرجع سابق ، ص: 06.

2- المرجع نفسه، ص:49.

3- عطف (ثمّ) للاسم المفرد لم يقع في القرآن، وإنّما جاءت عاطفة للجملة.

وبهذا يتّضح صدق قول العلامة محمود محمد شاكر في تصديره لهذا الكتاب « والشيخ -حفظه الله- لم يترك مجالاً للاستدراك على عمله العظيم ، فكل ما أستطيع أن أقوله إنّما هو ثناء مستخرج من عمل يثني على نفسه » [1] .

2- **أحمد عبد الستار الجواري (ت 1988م)**: هو من أوائل الباحثين المعاصرين الذي دعا إلى تأسيس النّحو القرآني في كتابه "نحو القرآن" سنة 1974 بصريح العبارة إلى نحو يقتصر في قواعده على القرآن الكريم فقط ، وذلك بعدما قرأ شرح ابن هشام على الألفية ومغني اللبيب له ، ورأى مدى اهتمامه بالقرآن ، فقال :« وقد برزت من خلال ذلك ظواهر وحقائق تنبئ بتقصير النّحاة عن استقصائها والوقوف عندها حين وضعوا قواعد النّحو مستنبطين إيّاها مما لا يرقى إلى المألوف الجيد بله الرفيع من الكلام ، أو حين أعملوا القياس والاستنتاج الذي لا يقوم على أساس موضوعي »[2].

وذكر الجواري في هذا الكتاب بعض ما وقع فيه النّحاة القدماء كتدخل المنطق وتصور القاعدة قبل استقراء المادة اللغوية، واعتدادهم بالشاهد الشعري، وإن لم يعلم قائله، إلاّ أنّه ناقش النّحاة في بعضها مستعيناً بآيات من الذكر الحكيم، والاستشهاد بها على مخالفة النّحاة في بعض القضايا ، ونادى باتخاذ القرآن مصدراً لتقعيد اللغة العربية[3].

1- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن ، مرجع سابق ، ص: (و) ، ج1، من تصدير محمود محمد شاكر .

2- أحمد عبد الستار الجواري ، نحو القرآن ، مرجع سابق ،ص: 03.

3- إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد، جهود الجواري النّحوية بين الأصالة والتحديد ، مجلة جامعة المدينة العالمية ،(مجمع) ، العدد الخامس عشر ، يناير 2016،ص:389.

ولعل أهم نقاط التجديد في تيسير النّحو عند الجواري:

أ- يدعو إلى تجديد النّحو وتيسيره ، ولكنه لا يريد أن يكون هذا التجديد وذلك التيسير عبثا وهدماً ؛ لأنّ تيسير النّحو أو تجديده أو إحياءه عمل ضخم يلزم له إحاطة تنفذ إلى صميمه ، وتغوص في أعماق معانيه .

ب- الدعوة إلى أخذ الشواهد النّحوية من القرآن الكريم، وعدم التمسك بالأشعار المجهولة والمنحولة في تأييد قاعدة، أو دعم حجة نحوي؛ لأنّ القرآن الكريم هو النّص الوحيد الموثوق في اللغة العربية، وممن هو ؟ إنّه من لدن العزيز العليم، لقد استشهدوا بالشعر وهو يخضع للضرورة و لم يصرفوا عنايتهم إلى القرآن، وهو أسلوب سهل بالغ غاية القوة والبراعة والانسجام[1] .

3- أحمد مكي الأنصاري (ت 2003م) : تجدر الإشارة إلى كتابين جليلين ألّفهما أحمد مكي الأنصاري ، في ما اعترى قواعد النّحويين من نقص وثغرات ، والرّد على كثير منهم وانتقادهم في طعنهم على القراءات المتواترة التي خالفت القواعد النّحوية : أولهما : [الدفاع عن القرآن ضد النّحويين والمستشرقين ،القسم الأول] والثاني : [نظرية النّحو القرآني نشأتها وتطوّرها ومقوماتها الأساسية].

1- المرجع السابق ، ص: 390.

ويؤكد الأنصاري توجهه بقوله: " وكان خليقاً بهم أنّ يتخذوا القرآن الكريم منبعهم الذي لا يغيض ، ومصدرهم الأول في كل تقعيد ، ومن هنا كانت دعوتنا الحارّة لإيجاد الخطوات الجادة في إخراج (النّحو القرآني) ، ويضيف قائلاً: « ويعجبني في هذا المقام قول أبي حيّان: « ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ،ولا غيرهم ممن خالفهم »[1].

ويعلن أحمد مكي الأنصاري في كتابه نظرية النّحو القرآني أنّ أول من نادى بهذه النظرية هو الفرّاء يقول « وأول من نادى بهذه النظرية – فيما أعلم – هو أبو زكريا الفرّاء (ت 207هـ) ، وكان لزاماً عليه أن يدافع عن كتاب الله في زمن كثرت فيه النّحل والفتن والأهواء...»[2].

وقد قسم الأنصاري كتابه هذا إلى ثلاثة فصول وتعقيب وخاتمة ، ففي الفصل الأول عرض نشأة النّظرية وتطورها ، وفي الفصل الثاني عرض لبّ النّظرية ومقوماتها الأساسية ، أمّا الفصل الثالث فعقده لنماذج تطبيقية .

ومن أهداف الأنصاري وضع خطة واضحة لتطبيق النّحو القرآني ، وتعديل كل ما يحتاج إلى تعديل في القواعد النّحوية لتساير النّصوص القرآنية المحكمة .

ونخلص إلى أنّ الأنصاري هو أول من كتب في (نظرية النّحو القرآني) ولكنه لم يضع المنطلقات التي في ضوئها يعاد بناء النّحو العربي على وفق تلك المنطلقات ، ويبقى رائداً في إطار الدعوة إلى النّحو القرآني .

1- أحمد مكي الأنصاري ، الدفاع عن القرآن ضد النّحويين والمستشرقين ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، توزيع دار المعارف ، 1393هـ-1973م القسم الأول ، ص:(و) من المقدمة .

2- أحمد مكي الأنصاري ، نظرية النّحو القرآني ، ص: 50-51، نقلاً عن (قراءة في كتاب : نظرية النّحو القرآني) للدكتور محمد حسن عواد ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، المجلد السابع ، العدد (1/أ) – 1433هـ 2011م ،ص:145.

المبحث الثالث: أسس و مظاهر النّحو القرآني.

أولا: أسس النّحو القرآني .

إنّ الأصل أن يكون القرآن الكريم المصدر الأوثق في الاحتجاج، وإقامة القواعد الكلية للسان العربي؛ لأنّ لغته أفصح أساليب العربية على الإطلاق، وهو نفسه حجّة في العربية بقراءاته المختلفة.

ولذلك فإنّ النّحو القرآني يقوم على ركيزتين :

أولهما : ما ذكره الدكتور عبد العال سالم مكرم ، من : " أنّ القرآن الكريم قامت على أساسه قواعد وبنيت على نهجه أصول " ، وهذا أمر مسلم به لدى المنظرين للفكر النّحوي [1].

أمّا ثاني الركيزتين ، فهي مقومات هذا النّحو القرآني التي ذكرها أحمد مكي الأنصاري ، يقول :" وأمّا المقومات الأساسية لهذه النظرية فلها جانبان :

أ) جانب الاتفاق .

ب) جانب الاختلاف .

أمّا جانب الاتفاق بين القواعد النّحوية والنّصوص القرآنية، فهو الغالب الأكثر والقسم الأكبر في هذه النظرية – النّحو القرآني – وأما جانب الاختلاف بين القواعد النّحوية والنّصوص القرآنية فهو موضع الثقل والتركيز في هذه النظرية، وله مظاهر متعددة:

1- ظاهرة المعارضة الصريحة.

3-ظاهرة المعارضة الخفية.

1- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النّحوي، مرجع سابق، ص: 279.

3- ظاهرة التأويل[1].

ولتسليط الضوء على هذه المقومات وشرح جانبي الاتفاق والاختلاف فيها ، فقد عمد الدكتور أحمد مكي الأنصاري للتدليل على صحة ما ذهب إليه بعرض موقف سيبويه من القراءات ، فقال : " إنّ سيبويه –رحمه الله – وضع القواعد النّحوية في كفة ، ووضع الآيات القرآنية في كفة فما كان موافقاً للقواعد البصرية تقبله بقبول حسن ، واستشهد به في الكتاب ، وأمّا ما تعارض من الآيات مع القواعد النّحوية البصرية فوقف منه مواقف ثلاثة تتجلى فيما يلي :

قسم منها استطاع أن يخضعه للتأويل والتقدير ليتفق مع القواعد البصرية ...

أمّا الباقي من الآيات المعارضة للقواعد البصرية فإنّها تأبى الخضوع للتأويل والتقدير . وحينما استعصت على سيبويه وقف منها موقف المعارضة القوية ورماها بالضعف ، والقبح والرداءة ...

ومهما يكن من أمر فإنّ المعارضة القوية كان لها مظهران عند سيبويه :

المظهر الأول: هي المعارضة الخفية وذلك حينما يضع القاعدة النّحوية التي تصطدم بالآية اصطداماً عنيفاً دون أن يذكر نص الآية بصراحة.

المظهر الثاني : هو المعارضة الصريحة وذلك عندما يفلت منه الزمام فيذكر نصّ الآية بصراحة ويذكر معها بعض الصفات التي لا تليق [2].

1- أحمد مكي الأنصاري ، نظرية النّحو القرآني ، ص: 50-51، نقلاً عن (قراءة في كتاب : نظرية النّحو القرآني) للدكتور محمد حسن عواد ، مرجع سابق ، ص: 152-153.

2- أحمد مكي الأنصاري ، سيبويه في الميزان ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء الرابع والثلاثون ، شوال 1394هـ / نوفمبر 1974م ، ص: 104- 105.

إنّ ما ذهب إليه الأنصاري فيه مبالغة إذ كما هو معلوم لم تكن القراءات السبعية معروفة في وقت سيبويه ومؤسسي النّحو العربي هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنّ الاختلاف بين قواعد النّحاة ونصوص القرآن قليلة لا يصح أن نصفها كما يزعم الأنصاري بالظاهرة ، ولعل في ردّ الدكتور محمد عبد الفتاح الخطيب على الأنصاري في هذه المسألة خير دليل ، إذ يقول : " إنّ هذا الاختلاف قليل جداً ممّا لا يمكن الطعن به على منهج النّحاة في بناء قواعدهم فقد ذكر الدكتور أربعين قاعدة ذكرها النّحاة تحتاج إلى تعديل قام به في "نظرية النّحو القرآني" وهو في تعديله هذا عالة على النّحاة ؛ إذ ما من قاعدة ذكرها إلاّ وللنّحاة آراء مختلفة فيها ، وما عدّلت به مبثوث في كتبهم المختلفة !![1].

ثانيا: مظاهر النّحو القرآني.

على الرغم من أنّ الداعين للنّحو القرآنيّ يرون أنّه قديم، إلا أنّ العصر الحديث قد شهد الظهور الفعلي لمصطلح النّحو القرآني واستعماله في الدرس النّحوي متمثلاً بالجهد النظري والجهد التطبيقيّ عن طريقِ اتخاذه عدداً من المظاهر في الدراسات النّحوية تنسجم مع مراحل تطوره يمكن الإشارة إليها بالنقاط الآتية:[2]

1- رفض التقدير والتأويل المصنوع في النّص القرآني كما في عدم جواز تقدم الصلة على الموصول أو الحال على صاحبها المجرور.

1- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النّحوي، مرجع سابق، ص: 279.

2- هناء محمود اسماعيل ،النّحو القرآني في ضوء لسانيات النّص ،مرجع سابق، ص: 74.

2- اعتماد النّص وحده والأخذ بظواهر النصوص ورفض إخضاع النّص القرآني للقاعدة وذلك من مقومات المنهج الوصفي.

3- إلغاء بعض الأفكار العقلية والمنطقية التي بنيت عليها مسائل النّحو ، إذ عّد ذلك المخزومي من (أّمهات المسائل التي يقوم عليها نحو القرآن وينبغي اعتمادها في نحو العربية) ، منها على سبيل المثال:

أ- إلغاء فكرة إعمال (**إن**) وأخواتها وإلغاء كل ما يترتب على إعمالها في نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾ [طه:63].

ب- العطف على ضمير الخفض بدون الالتزام بإعادة الخافض، نحو قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ [البقرة :217].

4- القياس على لغة القرآن الكريم واستنباط القواعد النّحوية في ضوء الاستعمالات القرآنية ، ومن ذلك :

أ- ورود الاسم الموصول (ما) للعاقل في نحو القرآن، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النّساء:22]. [1]

1- هناء محمود إسماعيل ، النّحو القرآني في ضوء لسانيات النّص ، مصدر سابق ، ص:76/75.

ب- جواز الموازنة بصيغة (**أفعل**) التفضيل بين شيئين متضادين من جنس واحد، وهو ما منعه النّحاة، وأجازه الأسلوب القرآني في قوله تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفرقان : 24].

ت- جواز ورود صيغة (**فاعل**) للدلالة على (**الواحد**) بدلاً من الاثنين وفي فعل المشاركة كما في قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة:9] [1].

المبحث الرابع: نماذج من النّحو القرآني.

وتوضيحا لهذا التفكير النّحوي القرآني الذي دعا إليه أصحاب هذا المذهب ارتأينا أن نسوق جملة من النماذج والتي تمكننا من فهم ما يصبو إليه أصحاب هذا التوجه .

1- **مراعاة لغات العرب**: قال ابن جنّي في الخصائص : « اللغات على اختلافها كلها حجة ألا ترى أنّ لغة الحجاز في إعمال (**ما**) ولغة تميم في تركه ، كل منهما يقبله القياس ، فليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها لأنّها ليست بأحق بذلك من الأخرى ».

فمن اللغات التي وردت في القرآن، وتأثرت بها قواعد النّحو[2]:

1- المرجع السابق ، ص: 76.

2- عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النّحوية ، مرجع سابق ، ص:323.

أ- ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ ﴾ [طه:63] ذكر الواسطي أنّ ابن عباس قال : هي لغة بلحارث بن كعب . ثم قال :إجماع النّحويين على أنّ هذه لغة بلحارث ، وذلك أنّ بلحارث بن كعب ، وخثعماً ، وزبيداً ، وقبائل من اليمن يجعلون ألف الاثنين في الرفع ، والنصب ، والخفض على لفظ واحد.

ب-قال تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾[النساء:1] قرأ حمزة وحده«**والأرحامِ بجر الميم**».

قال الفخر الرازي معلقاً ورادًّا على النّحويين الذين ردّوا هذه القراءة : « واعلم أنّ هذه الوجوه ليست وجوهاً قوية في دفع الروايات الواردة في اللغات وذلك لأنّ حمزة أحد القرّاء السبعة ، والظاهر أنّه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه ، بل رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة ، والقياس يتضاءل عند السماع ، لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت »[1].

يتضح لنا من خلال ما سبق أنّ أصحاب النّحو القرآني يجيزون عطف الاسم الظاهر على المضمر المجرور من غير إعادة الجار .

2- في الإضافة :

- الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف :

جمهور البصريين من تقدم منهم ومن تأخر يمنعون هذا، ولا يجيزونه إلاّ في ضرورة الشعر.

من أجل هذا رفض البصريون قراءة ابن عامر **(قَتلُ أَولاَدَهُم شُرَكَائِهم)** [الأنعام : 137] برفع القتل ، ونصب الأولاد ، وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء ، وبعض النّحويين وعلى رأسهم أبي

1- المرجع السابق ، ص:323.

حيّان الأندلسي أجاز هذا الفصل اعتماداً على قراءة ابن عامر ، الآخذ بالقرآن عن عثمان بن عفّان – رضي الله عنه– قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب .[1]

من خلال ماسبق يرى دعاة النّحو القرآني أنّ قاعدة « لا يجوز الفصل بين المتضايفين في النثر مطلقا» ينبغي تعديلها وإجازة الفصل بين المتضايفين بالمفعول به، ودليلهم في ذلك أنّها وردت في قراءة سبعية وهي قراءة ابن عامر .

3-ياء المتكلم بين الفتح والكسر:

قال تعالى: ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ [إبراهيم: 22].

«قرأها حمزة بن حبيب الزيات مقرئ أهل الكوفة – بكسر الياء من (**مصرخي**) وهي قراءة سبعية موثوق بها تمام الثقة ، كما قرأها يحيى بن وثاب والأعمش .

ومع كل هذا التوثيق الدقيق أنكرها النّحاة دون مبالاة بصحة السند ، فضلاً عما جاء في اللغة من توثيقها بالإضافة إلى القراءات ، فقد ذكروا أنّ علماء اللغة وأقطابها سمعوها من العرب الخلص ، وحكوها عنهم وأجازوها وقالوا إنّها صواب ، من أمثال قطرب والفرّاء والقاسم بن معن ، وأبي عمرو بن العلاء .

غير أنّ النّحاة ضربوا بكل ذلك عرض الحائط،...، وقالوا إنّها رديئة مرذولة ولا يجوز أن يحمل كتاب الله على الشذوذ .

1- عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النّحوية ، مرجع سابق ، ص:326.

وإليك بعض ما قال النّحاة :قال الأخفش : " ما سمعت هذا عن أحدٍ من العرب ولا من النّحويين "، و الزّجاج :« هذه القراءة عند جميع النّحويين رديئة مرذولة ، ولا وجه لها إلاّ وجه ضعيف »»[1].

4- المثنى :

أقل الجمع اثنان أو ثلاثة ، يكتفي النّحويون بذكر هذا الخلاف من غير استدلال له ، وقد كرّر سيبويه في كتابه قوله : التثنية جمع .

وفي القرآن آيات تسند من يقول: إنّ أقل الجمع اثنان، كما في قوله تعالى ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ ﴾ [الأنبياء: 78] .[2]

5- مجيئ المصدر المؤول مضافاً إليه :

تصرف المصدر المؤول من (**أنْ والفعل**) في وجوه كثيرة من الإعراب فوقع مرفوعاً ، ومنصوباً ومجروراً بالحرف أو الإضافة .

قال الشيخ عضيمة : (وزعم ابن الطّراوة أنّ المصدر المؤول من أنْ والفعل لا يقع مضافاً إليه) .

وقد ردّ الشيخ عضيمة على هذا الرأي واصفاً إياه بالخيالات ، بما وجد في القرآن الكريم من المصادر المؤولة من (**أنْ والفعل**) التي جاءت مضافاً إليه في ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم :

- أُضيف (**قَبْل**) إلى هذا المصدر في تسعة وعشرين موضعاً، منها قوله تعالى ﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ ﴾ [البقرة: 237].

1- أحمد مكي الأنصاري ، الدفاع عن القرآن ضد النّحويين والمستشرقين ، مرجع سابق ، ص:35.

2- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن ، مرجع سابق، القسم الثاني ، ج1، ص:30.

– وأُضيف (**بَعْد**) إلى المصدر المؤول من (**أنْ والفعل**) في أربعة مواضع، منها قوله تعالى:﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ ﴾ [يوسف : 100] [1].

6– رُبَّ وتعلقها بالفعل المضارع :

ذهبت طائفة كبيرة من النّحويين إلى القول بأنّ (**رُبَّ**) لا تدخل إلاّ على الفعل الماضي، ولا تتعلق بالفعل المضارع، ويبدو أنّه مذهب جمهور النّحويين.

يقول السيوطي : " ويجب كونه ، أي الفعل الذي تتعلق به رُبَّ ماضياً ، قاله المبرد والفارسي وابن عصفور ، وقال أبو حيان ، أنّه المشهور ورأي الأكثرين "[2].

ويرد ذلك خليل بنيان الحسون في كتابه "النّحويون والقرآن" بقوله : والغريب أنّهم يذهبون إلى إلزام كون الفعل بعدها ماضياً ، وقد وردت في القرآن داخلة على الفعل المضارع ، وهي ملحقة بـــ(ما) في قوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾ [الحجر : 02] .

يقول أبو البركات الأنباري في سياق إعرابه الآية : ولا يدخل بعد ربما إلاّ الماضي ، ...، وإنّما جاء هاهنا المضارع بعدها على سبيل الحكاية، ولهذا حمله أبوا إسحاق على ضمير (**كان**) على تقدير: ربّما كان يود الذين كفروا" وقد أقرَّ ابن مالك بدخول (**رُبَّ**) على المستقبل مستدلاً بالآية، وبقول هند أم معاوية:

1– خير الدين فتاح عيسى ، وعماد مجيد علي ، ردود الشيخ عبد الخالق عضيمة على النّحاة في كتابه دراسات لأسلوب القرآن ، مجلة جامعة كركوك ، العدد : 1، المجلد 4، السنة الرابعة 2009، ص: 100.

2– خليل بنيان الحسون ، النّحويون والقرآن ، مكتبة الرسالة ، عمان ، الأردن ، ط1423،1هـ/2002م ،ص:.12

يَا رُبَّ قَائِـلَـةٍ غَـداً ***يـا وَيْحَ أُمِّ مُعَـاوِيَـه.[1]

7- دخول (واو الحال) على الفعل المضارع المثبت:

منع النّحويون دخول (**واو الحال**) على الفعل المضارع المثبت ، وهو مذهب الجمهور ، وقد عبّر ابن مالك على ذلك بقوله :

وَذَاتُ بِدْءٍ بِمُضَارِعٍ ثَبَت***حَوَتْ ضَمِيراً وَمِنَ الوَاوِ خَلَتْ.

يشرحه ابن عقيل على هذا النّحو ... الجملة الواقعة حالاً إنْ صدرت بمضارع مثبت لم يجز أن تقترن بالواو ، بل لا تقترن إلاّ بالضمير ، نحو : جاء زيد يضحك ، ولا يجوز دخول (**الواو**) ، فلا تقول :"جاء زيد ويضحك" .

فإن جاء من لسان العرب ما ظاهر ذلك أُوّل على إضمار مبتدأ بعد (**الواو**)، ويكون الفعل المضارع خبراً على ذلك المبتدأ " .

وقد نصَّ ابن هشام على ذلك عند إيراده المواضع التي تمتنع فيها (**الواو**)، ومن هذه المواضع " المضارع المثبت " ، كقوله تعالى :﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ ﴾ [المدثر : 06] ، وإنّا لنجد في القرآن شاهداً يتمثل فيه على نحو ظاهر دخول (**واو الحال**) على الفعل المضارع المثبت ، وهو قوله تعالى :

﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [البقرة : 44] [2].

1-خليل بنيان الحسون ، النّحويون والقرآن، مرجع سابق ، ص: 12.

2- المرجع نفسه ، ص: 49.

إنّ دلالة الحال في (**وتنسون أنفسكم**) ظاهرة لصحة تأويلها بحال جملة:﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَأَنْتُم تَنْسَونَ أَنْفُسَكُم**﴾، أو بحال مفردة: ناسين أنفسهم.

وبوسعنا أن نقيس عليها فنقول مثلاً:" أيهُبُّ النّاس للعمل وتقعدون ؟ ولا تخلفوا العهد وترجون ثقة النّاس بكم.

ولكنَّ النّحاة لا يرونها داخلة على الفعل المضارع، وإنّها داخلة على جملة اسمية، إجراء لما قرّروا من منع دخول (**واو الحال**) على الفعل المضارع المثبت، وإنّ كانت داخلة عليه حقًّا.[1]

8- مجيئ فعل الشرط مضارعاً والجواب ماضياً :

مذهب جمهور النّحويين أنّه لا يجوز أن يكون فعل الشرط مضارعاً والجواب ماضياً.

وحينما نصل إلى أبي حيّان نجده يبلغ عنده حد الاستحالة.

يقول السيوطي :" قال أبو حيّان : وذلك مستحيل من حيث أنّ الشرط يتوقف على مشروطه ، فيجب أن يكون الجواب بالنسبة إليه مستقبلاً ، وإلاّ لزم من ذلك تقدم المستقبل على الماضي في الخارج أو في الذهن ، وذلك محال " .

ثم يورد على نفسه قوله تعالى:﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:77]، وقوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [فاطر: 04]، فيتأولها بإقحام فعل أمر بين الشرط والجواب

1- خليل بنيان الحسون ، النّحويون والقرآن ، مرجع سابق ، ص: 50.

ليسلم لديه ما ترسّخ في يقينه النّحوي، فيقدّر ذلك على هذا النّحو:" وإن يكذّبوك فتسلّ فقد كُذّبت رسل من قبلك ، وإن يسرق فتأسّ فقد سرق أخ له من قبل ".

ويتساءل الدكتور خليل بنيان الحسون لِمَ جعل أبو حيّان ما قدّره مقحماً بين الشرط وجوابه ، أليس الأولى أن يكون ذلك بعد تمام الكلام ؟.

ويجيب الحسون قائلاً :" ولو تتبع أبو حيّان وأسلافه النّحويون آي القرآن تتبعاً حسناً لما أقدموا على منع ما منعوه .

فقد قال تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنفال : 71] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال : 38] .

وإنّه لمن البيّن أنّ الماضي سابق للمستقبل في الحدوث ، بيد أنّه ليس بلازم عند الحديث عما جرى فيهما التقيد بسرد الأحداث بحسب تتابع وقوعها ،...، فليس مستغرباً من أجل هذا أن يُقدّم الآخر على الأول ، وأن يبدأ بالعاقبة قبل بوادرها ".[1]

9- الاسم المنقوص المقترن ب(ال):

ذكر سيبويه في كتابه في (هذا باب ما يحتمل الشعر)[2] حيث أورد فيه كثيراً من الشواهد التي تدخل في باب الضرورة الشعرية ، وجعل منها قول الأعشى :

1- المرجع السابق، ص: 52.

2- سيبويه ، الكتاب ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2004، ط4،ج1، ص:26 وما بعدها .

وأخو الغوانِ متى يشَأْ يَصْرِمْنَه***وَيكُــنَّ أعْـدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ.

وجعل حذف الياء من (**الغوان**) – وهو اسم منقوص مقترن بـــ(**ال**)– من باب الضرورة ، وهذا قد جاء مثله الكثير في القرآن ، منه قوله تعالى : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَـانِۖ ﴾ [البقرة: 186]، وقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ ﴾ [ق: 41].

وهذا يدل على أنّ حذف الياء من الاسم المنقوص ليس خاصًّا بالشعر، وإنّما هو موجود في أفصح الكلام القرآن الكريم، ومردّ هذا الحذف الخفة أو التخفيف، وهي ظاهرة موجودة في اللسان العربي. والدليل القاطع على أنّ الحذف هنا للتخفيف وليس للضرورة الشعرية مجيء هذا الحذف في النثر الصحيح ـــ وأكثر من هذا أنّه ورد في القرآن الكريم .

ولو سلمنا بأنّ هذا الحذف من باب الضرورة الشعرية...للزم أن نسلّم بأنّ القرآن فيه ضرورة شعرية... وذلك محال كما هو معلوم ، بدليل قوله تعالى :﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ ﴾ [يس: 69] [1].

إنّ هذه النّماذج وغيرها هي التي اختلف فيها أصحاب النّحو القرآني مع النّحاة الأوائل ، فهم يرون أنّ النّحاة الأوائل غلو غلواً كبيراً في قضية إخضاع الآية القرآنية للقاعدة النّحوية سواءٌ في هذه المسائل أم في غيرها .

1- أحمد مكي الأنصاري ، دفاع عن كتاب الله (القرآن ... والضرورة الشعرية) ، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، العدد العشرون ، 1421هـ - 2000م ، ص: 08.

وقد كان هذا الاختلاف بمثابة النقطة المحورية التي انطلق منها أصحاب النّحو القرآني في توجيه انتقاداتهم للنّحاة الذين رفضوا بعض القراءات القرآنية .

إنّ قضية النّحو القرآني وما حملته في طيّاتها جعلت الباحثين في العصر الحديث ينقسمون إلى فريقين فريق مؤيد لفكرة النّحو القرآني ، وآخر معارض رافض لهذا التوجه بكل أشكاله وفي الفصل الموالي عرض لأهم حجج وبراهين هذين الفريقين مع موازنة وترجيح بينهما في آخر هذا الفصل .

الفصل الثاني:النّحو القرآني بين القبول والرفض.

- المبحث الأول: أدلّة الدّاعين إلى النّحو القرآني.
-المبحث الثـاني: حجج المعارضين للنّحو القرآني.
-المبحث الثالث: مـــــوازنة وتـــــرجيـــح .

الفصل الثاني: النّحو القرآني بين القبول والرفض.

المبحث الأول: أدلّة الدّاعين إلى النّحو القرآني.

ارتبط النّحو العربي منذ نشأته بالقرآن الكريم، واعتبره النّحاة في أعلى درجات الفصاحة، كما أنّهم أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيه؛ إذ لا خلاف بينهم على حجّيته.

وعلى الرغم من ذلك ، فإنّ بعض الباحثين المحدثين يؤكدون أنّ مواقف النّحاة الفعلية لا تعكس ذلك التسليم المطلق من النّحاة المتقدمين بأهمية النّص القرآني ، وبكونه المصدر الأول والأوثق للسماع في تقعيد اللغة .

فهم كما يصفهم الدكتور محمد عيد وقعوا في تناقض بين التسليم الظاهري المطلق ، وبين ما هو واقع فعلاً من عدم الاحتجاج به أساساً ؛ حيث ينص علماء اللغة صراحة على أنّ القرآن الكريم سيّد الحجج ، وأنّه أهم مصدر للشواهد ، ولكن مواقفهم الفعلية تدل على خلاف ذلك [1].

والذي نخلص إليه من كل ما تقدّم أنّ عمدة الدّاعين إلى النّحو القرآني فيما ادّعوه على النّحاة من نقص الاعتماد على القرآن الكريم يتلخص في ثلاثة أمور ، هي :

أولاً : موقف النّحاة الأوائل من الشاهد القرآني :

يتحدث الدكتور محمد عيد عن كتاب سيبويه فيذكر ما يدل على الإعراض عن النّص القرآني فيقول :" ولقد أُحصي ما فيه من آيات القرآن فلم تزد على ثلاثمائة آية لم يتخذ معظمها مصدراً للدراسة ، بل إنها اعتمدت على نصوص أخرى أهمها الشعر "[2].

1- محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1988م، ص:103.

2- المرجع نفسه، ص:113.

وقريباً من هذا ما ذكره الدكتور أحمد عبد الستار الجواري: "ولقد بلغ بعضهم في هذا المجال مبلغ الإيغال والغلو، فحكموا على مواضع من آي القرآن بخروجها على نّحو العربية "[1].

ويشخص سعيد الأفغاني في تعقبه لقضية موقف النّحاة من النّص القرآني فيقول :" الحقّ أنّ النقد يجد في صفّ النّحاة ، وفي قواعد نحوهم ثُغَرٌ عديدة ، ينفذ منها إلى الصميم ، فهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب ، فيجمعون نتفاً نثرية وشعرية من هذه القبيلة ، ومن تلك، من أعرابي في الشمال إلى امرأة في الجنوب ، ومن شعر لا يعرف قائله إلى جملة غير منسوبة ، يجمعون هذه إلى أقوال معروفة مشهورة ، ويضعون قواعد تصدق على أكثر ما وصل إليهم بهذا الاستقراء الناقص الذي لا يستند إلى خطة محكمة في الجمع ، ...، حتّى إذا أتت بعضهم قراءة صحيحة السند تخالف قاعدته القياسية، طعن فيها، وإن كان قارئها أبلغ وأعرب من كثير ممّن يحتج النّحوي بكلامهم !"[2].

ويضيف سعيد الأفغاني للتدليل على ما ذهب إليه بقوله :" وخير ما يصف اضطراب موقفهم هذا قول الرازي :" إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى " .وقول ابن حزم :" من النّحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ويتخذه مذهباً ، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها".

والمنّهج السليم في ذلك أن يمعن النّحاة في القراءات القرآنية الصحيحة السند، فما خالف منها قواعدهم صحّحوا به تلك القواعد، ورجعوا النظر فيها، فذلك أعود على النّحو بالخير "[3].

1- أحمد عبد الستار الجواري، نحو القرآن، مرجع سابق ، ص:07.

2- سعيد الأفغاني ، في أصول النّحو ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ-1987م، ص:31.

3- المرجع نفسه ، ص: 32.

ولتقييم موقف النّحاة من مسألة موقفهم من النّص القرآني بطريقة تعلو على التقييم النظري، ذهب دعاة النّحو القرآني إلى محاولة إثبات ذلك الإعراض بقراءة فاحصة لطريقة تعامل النّحاة مع النّص القرآني تمثيلاً واستشهاداً، وذلك على النّحو التالي:

1- التعامل مع النّص القرآني تمثيلاً: هذه الظاهرة تتمثل في اعتماد النّحاة في التمثيل لعدد كبير من القواعد بأمثلة مصنوعة دون التمثيل القرآني مع وجود ذلك المثال في نصوص القرآن الكريم:

أ- **في علامات الفعل:** يذهب النّحاة إلى أنّ الفعل: ينجلي بأربع علامات:[1]

إحداها: تاء الفاعل متكلماً ، **كقمتُ** أو مخاطباً نحو : **تباركتَ** .

الثانية : تاء التأنيث الساكنة ، **كقامتْ** ، **وقعدتْ**.

الثالثة: ياء المخاطبة: **كقومي**.

الرابعة نون التوكيد شديدة وخفيفة: نحو: قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف:32].

فالنّحاة يمثلون لعلامات الفعل بأمثلة مصنوعة خلا المثال الأخير الخاص بنوني التوكيد على الرغم من شيوع أمثلة ما مثلوا به للعلامات الأربعة في نص القرآن الكريم ،فإنْ وردت الآية في أذهانهم عرضاً أتوْا بها كما فعلوا هنا ، وكما يظهر بوضوح في كتاب ابن هشام الذي دائما ما يضعه النّحاة المحدثون على رأس المكثرين من اعتماد النّص القرآني .

1- ابن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ج1، ص:23و24.

وبالرجوع إلى علامات الفعل التي مثّل لها النّحاة بأمثلة مصنوعة دون أمثلة القرآن الكريم، فقد وردت في القرآن الكريم واضحة بيّنة، فمثال تاء الفاعل متكلماً قوله تعالى:﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾[الشعراء:21].ومثاله مخاطباً، نحو قوله تعالى:﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾[الأنبياء: 65]. ومثال تاء المخاطبة، نحو قوله تعالى:﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾[القصص: 7].ومثال تاء التأنيث قوله تعالى:﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾[القصص: 11].ومثال ياء المخاطبة قوله تعالى:﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ [مريم: 26].

ب- **في مسألة دخول نون الوقاية** : يذكر النّحاة حكم وجوب دخول نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، فيقولون : فإن نصبها فعل أو اسم فعل أو (**ليت**) وجب قبلها نون الوقاية ، فأمّا الفعل فنحو (**دَعَانِي**) و (**يُكرِمني**) و (**أَعْطِنِي**) وتقول (**قَامَ القَومُ مَا خَلاَنِي**) و (**مَا عَدَانِي**) و(**حَاشَانِي**) [1].

فمثّلوا لحكم نصب الفعل لياء المتكلم بأمثلة مصنوعة مع وجود أمثلة لذلك في القرآن الكريم واضحة في التدليل، فمثال الفعل الماضي:﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ [نوح: 21-22].

ومثال المضارع: ﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾ [الأعراف: 71-72].

ومثال الأمر: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: 152-153].

ومنه يتضح أنّه إذا اتصل بالفعل ياء المتكلم لحقته لزوماً نون تسمّى نون الوقاية، وسمّيت بذلك لأنّها تقي الفعل من الكسر، وذلك نحو: (**أَكْرَمَنِي، ويُكرِمُنِي، وأَكْرِمْنِي**).[2]

1- ابن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، مرجع سابق ، ص: 106.

2- محمد محي الدين عبد الحميد ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه منحة الجليل ، بتحقيق شرح ابن عقيل ، دار التراث ، القاهرة ، ط20، 1400هـ - 1980م، ج1، ص:108.

ج- **في علامات الأسماء:** ذكر النّحاة أنّ للأسماء علامات خمس تتميز بها عن الفعل والحرف، هذه العلامات هي التي ذكرها الناظم ابن مالك في بيته المشهور:

بِالجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالنِّدَا وَأَلْ ***وَمُسْنَدٍ لِلاِسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ .

فذكروا علامات الجرّ فأوضحوا أنّ الجرّ ليس معناه دخول الحرف، لأنّه يدخل على ما ليس باسم: نحو: (**عَجبتُ مِنْ أنْ قُمتَ**) معرضين عن التمثيل بمثل قوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر:12].

وفي حديثهم عن علامة الاسناد من علامات الأسماء، يقول ابن هشام : "وهو أن تنسب له ما تحصل به الفائدة وذلك كما في (**قمتُ**) ، و(**أنا**) في قولك : (**أنا مؤمنٌ**)"[1].معرضاً عن التمثيل بكثير من آي الذكر الحكيم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه: 39-40].وكذلك في قوله تعالى : ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف: 45].

2- الإعراض عن النّص القرآني استشهاداً: ويتمثل في احتجاج النّحاة للقاعدة بالأشعار دون شواهد النّص القرآني مع وجوده ، على الرغم مما بينهما من فارق في التوثيق والثبوت والفصاحة .

ويمكن إثبات ذلك والتدليل عليه بما يأتي:

1- ابن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، مرجع سابق ، ص: 22.

أ – في مسألة المبتدأ الوصف الرافع لمكتف به عن الخبر: حدّ المبتدأ هو: اسم مجرد عن العوامل اللفظية، مخبر عنه، أو وصف رافع لمكتفي به عن الخبر. وقد اشترط النّحاة في المبتدأ الوصف الرافع لمكتف به عن الخبر سبقه بنفي أو استفهام [1].

وقد احتجوا لسبقه باستفهام بشاهد لا يصح الاستشهاد به لجهالة قائله ، قال ابن هشام :" ولا بدّ للوصف المذكور من تقدم نفي أو استفهام ، نحو:

أَقَاطِنٌ قَوْمُ سَلْمَى أَمْ نَوَوْا ظَعَنَا*إِنْ يَظْعَنُوا فَعَجِيبٌ عَيْشُ مَنْ قَطَنَا.**

قال الشيخ محمد محي الدين واصفاً هذا الشاهد الشعري:" و لم أقف لهذا الشاهد على قائل معين، ولا عثرت له على سوابق ولا لواحق تتصل به "[2].

وعلى الرغم من هذه الجهالة فإنّ ابن هشام و خالد الأزهري[3] احتجّا به ، معرضين عن الاحتجاج بالشاهد القرآني الذي ورد مؤيداً لهذه القاعدة وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [مريم: 46]. فأنت : فاعل سدَّ مسدّ الخبر رفعه المبتدأ الوصف واكتفى به .

ب– في مسألة حذف المبتدأ وجوباً: وأمّا حذفه وجوباً فإذا أُخبر عنه بنعت...، أو بمصدرٍ جيء به بدلاً من اللفظ بفعله، نحو: سمعٌ وطاعةٌ وقوله:

فَقَالَتْ: حَنَانٌ، مَا أَتَى بِكَ هَاهُنَا*أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالحَيِّ عَارِفُ؟**

1- خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2، 2006، ج1، ص:192.

2- ابن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، مرجع سابق ، ص:190.

3- خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، مرجع سابق ، ص: 193.

التقدير: أمري حنان ، وأمري سَمعٌ وطَاعةٌ .

قال الشيخ محمد محيّ الدين:" لم ينسب أحد من النّحاة هذا البيت إلى أحدٍ".

ويضيف قائلاً :" وهذا البيت من شواهد سيبويه (ج1:161 و175) ولم ينسب في صدر الكتاب ، ولا نسبه الأعلم الشنتمري في شرح شواهده "[1].

فسيبويه والمبرّد وابن هشام يعتمدون هذا الشاهد الشعري على الرغم مما فيه من طعن مع وجود الشاهد القرآني في قوله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾ [يوسف: 18]. أي : فَأَمْرِي صَبْرٌ جميلٌ"[2].

ج- **مجيء الحال مصدراً**: في باب الحال ، ذكر النّحاة في مسألة مجيئ الحال مصدراً : "وقد جاءت مصادر أحوالاً بقلة في المعارف كـــ(**جاء وحده**) ، ويكثر في النّكرات كـــ(**طلع بغتة**) ، وجاء ركضاً ، وقتلته صبراً..."[3].

وجاء عند سيبويه في باب ما ينتصب من المصادر لأنّه حال: وذلك قولك : قتلته صبراً، ولقيته فجاءة ومفاجأة ، وكفاحاً ومكافحةً، ولقيته عياناً ، وكلمته مشافهة ، وأتيته ركضاً وعدواً ومشياً"[4].

1- ابن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، مرجع سابق ، ص: 217.

2- أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1413هـ -1993م، ج5، ص: 290.

3- خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، مرجع سابق، ص: 580.

4-سيبويه ، الكتاب ، مرجع سابق ، ج1، ص:370.

وهذا الذي احتج به النّحاة من كلام العرب جاء بديلاً عمّا ورد في النّص القرآني من شواهد مجيء الحال مصدراً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ [البقرة: 274][1].وقوله تعالى:﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[الأعراف: 56].

وانتصب خوفاً وطمعاً على أنّهما مصدران في موضع الحال.[2]

ومن كل ما سبق ذكره يمكن إجمال النتائج الضارة التي نشأة من كثرة الشواهد الشعرية عند القائلين بذلك فيما يلي :

1- فرض قواعد خاصة بالشعر على النثر .

2- تعدد الآراء في المسألة الواحدة.

3- تعقد الدرس النّحوي واضطراب قواعده، والتوسع في التأويل.

4- الطعن في النّحو .

يقول عضيمة :« وكان تعويل النّحويين على الشعر ثُغرة نفذ منها الطاعنون عليهم ؛ لأنّ الشعر رُوي بروايات مختلفة ؛ كما أنّه موضع ضرورة ».[3]

1- أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ،مرجع سابق ، ج4، ص:344.

2- المرجع نفسه ،ج4،ص:313.

3- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن ، مرجع سابق، ق1،ج1، ص:02.

ثانياً: طعن النّحاة الأوائل في القراءات :

لقد انتقد كثير من الباحثين المحدثين ، ومنهم أحمد مكي الأنصاري مواقف سيبويه من القراءات القرآنية ، كما أنّهم يرون أنّ مواقف الخالفين لسيبويه من النّحاة أشدّ وضوحاً ، وأكثر جرأة ، يستوي في ذلك عندهم القراءات المتواترة وغيرها.

فالفرّاء(ت207هـ) يغمز أبا عمرو بن العلاء ويصفه بالجرأة في القراءة ، ويصف بعض القراءات بالشذوذ والقبح ، والأخفش الأوسط (ت215هـ) طعن في كثير من القراءات ووصفها بالرداءة ولحّن بعضها.

والمازني -كما يصفه عضيمة - تجاوز حدّ الاعتدال مع القرّاء ، وأمّا المبرّد فيصفه الشيخ عضيمة أيضاً بأنّه أجرأ النّحاة على القرّاء والقراءات ، وأنّ كتابه "المقتضب" مليء بالنقد الصريح والطّعن على القراءات [1].

أمّا الدكتور أحمد مختار عمر فيرى أنّ أحداً من النّحاة لم يسلم من تخطئة القراءة ،حتى ابن جنّي (ت392هـ) الذي اشتهر بتقديسه للقراءات ، والدفاع عنها ، لم يتورع عن ذلك في مواضع متعدّدة من كتابه " المحتسب" وفي غيره [2].

1- محمد عبد الخالق عضيمة ، أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1،1405هـ ،ص:43.

2- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1982، ص:22.

وقبل عرض أمثلة من طعن النّحاة في القراءات، فلا بأس بإبراز ما جاء من مواقف نظرية من النّحاة واللغويين عن القراءات القرآنية: [1]

1- سيبويه (ت180هـ) : "القراءات لا تخالف ؛ لأنّ القراءة سنّة ".

2- الفرّاء (ت207هـ):"والكتاب أعرب وأقوى في الحجّة من الشعر".

3- أبو جعفر النّحاس (ت338هـ) "الديانة تحظر الطّعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة ".

4- ابن خالويه (ت370هـ): قد أجمع النّاس جميعاً أنّ اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممّا في غير القرآن ، لا خلاف في ذلك ".

5- ابن جني (ت392هـ):" كما أنّه ليس لأحد الآن عذر أنْ يرتجل قراءة وإن سوّغتها العربية، من حيث كانت القراءة سنّة متّبعة ".

هذا ما نظّره النّحاة واللغويون عن القراءات القرآنية، ولكن كيف كان موقفهم من القراءات التي خرجت عن قواعدهم التي قعّدوها، فهل طابق تطبيق النّحاة واللغويين تنظيرهم عندما لا تنسجم القراءة مع ما نظّروه، أو خالف تطبيقهم تنظيرهم ؟.

1- قال البغدادي في شرح شواهد الشافية عند شرحه لبيت أبي الأسود الدؤلي :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي***غَالَهُ فِي الحُبِّ حَتَى وَدَعَهْ.

1- منصور بن عبد الله الغفيلي ، مآخذ المحدثين على النّحو العربي وآثارها التنظيرية والتطبيقية ، مطبوعات نادي القصيم الأدبي ، السعودية، ط1، 1434هـ - 2013م، ص: 60.

هو شاهد على أنّ ماضي يدع، وهو (**ودع**)، لم يستعمل ضرورة . وبالغ سيبويه ، فقال :" أماتوا ماضي يدع"أي لم يستعملوه ، لا في نثر ولا في نظم ، وقالوا أيضاً: لم يستعمل مصدره ولا اسم فاعله ولا اسم مفعوله،مع أنّ الجميع قد ورد ، فالأقرب الحكم بالشذوذ،لا بالإماتة ولا بالضرورة "[1].

وسار النّحاة بعد سيبويه يردّدون أنّ العرب استغنت عن ماضي (**يدع**) ومصدرها بماضي (**ترك**) ومصدرها ، ثمّ اتضح أنّ هناك قراءة لعروة بن الزبير :(**مَا وَدَعَكَ**) وحديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم :(**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِم الجُمُعَات**) . ففي كل ذلك دليل على وجود (**ودع**) الذي أنكره سيبويه [2].

ولبيان مبلغ خطأ النّحاة بإزاء القراءات ، وولوعهم بنحوهم ومغالاتهم في قواعدهم ، نفصّل الحديث عن ماضي (**يدع**):[3].

قال تعالى:﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى: 03]. قرأ الجمهور بتشديد الدال من (**وَدَّعَكَ**) وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام وأبو حيرة وابن أبي عبلة (**ما وَدَعَكَ**) بالتخفيف وهي على ما قال ابن جنّي قراءة النبيّ صلّى الله عليه وسلم .

كما جاء أيضاً في لسان العرب: قرئ (**مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ**) بالتخفيف والمعنى فيهما – أي في التشديد والتخفيف – واحد؛ أي ما تركك رَبُّكَ.

1- عبد الوهاب حمّودة ، القراءات واللهجات ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1، 1368هـ-1948م، ص:146.

2- صالح محجوب محمد التنقاري ، موقف النّحاة من القراءات : دراسة تأصيلية ، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، السنة الأولى ،العدد الأول ،2009، ص:111.

3- عبد الوهاب حمّودة ، القراءات واللهجات ، مرجع سابق ، ص: 143.

قال: وَكَانَ مَا قَدَّمُوا لِأَنْفُسِهِم***أَكْثَرَ نَفْعاً مِنَ الَّذِي وَدَعَوا.

وقال ابن جني: "إنّما هذا على الضرورة، لأنّ الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما ينتحه القياس وإن لم يرد به سماع ".وعليه قرأ بعضهم:(**مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**). وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:" **لَيَنْتَهِينّ أقوام...الحديث** ".

وزعمت النّحوية أنّ العرب أماتوا مصدر (**يدع ويذر**) واستغنوا عنه بـــ(**ترك**). والنبيّ صلّى الله عليه وسلم أفصح العرب، وقد رويت له هذه الكلمة ".

أرأيت إلى أيّ حدّ تبلغ المغالاة في المذهب، والتقديس للرأي، وإهدار نصّ صحيح صريح، وإهمال قراءة صحيحة !!.[1]

2- خطّأ الفرّاء الأعمش ويحيى بن وثّاب في قراءتهما :(**وَمَا أَنْتُم بِمُصْرِخيَّ**) بكسر الياء من (**مُصْرِخيِ**) علماً أنّها قراءة سبعية قرأ بها حمزة ، وهي لغة بني يربوع ، وقد وجّهت على أنّ الكسر للتخلص من التقاء الساكنين ... وقال: " لعلها مِنْ وهم القراء من طبقة "يحي"؛ فإنّه قلّ من يسلم من الوهم ولعلّه ظنّ أنّ الباء في (**مصرخيّ**) خافضة للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك".

وهكذا رمى الفرّاء القرّاء بالوهم وعدم الدراية بالعربية[2].

1- عبد الوهاب حمّودة ، القراءات واللهجات، مرجع سابق ، ص :146 .

2- شعبان صلاح، مواقف النّحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار غريب، القاهرة، 2005، ص:189

3- ردَّ المازني قراءة نافع : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف : 10]. بالهمزة في (**معائش**) ، وقال :" هي خطأ فلا يلتفت إليها ، وإنّما أخذت عن نافع بن أبي نعيم ، و لم يكن يدري : ما العربية ؟ وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا ".

ومعلوم أنّ نافعاً هذا قد قرأ على سبعين من التابعين ، وفيه قال الإمام مالك بن أنس وصاحبه عبد الله بن وهب : قراءة نافع سنّة ، وقال الليث بن سعد إمام أهل مصر : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة ، وإمام النّاس في القراءة يومئذ نافع بن أبي نعيم .

فكيف يرمي مثل هذا الرجل بعدم الدراية ؟ وعلى فرض ذلك جدلاً: أليست هذه القراءة مروية رواية صحيحة ؟ وإذا كان العرب قد قالوا في جمع مصيبة : مصائب كما روى المازني نفسه فلماذا يحكم عليهما بالخطأ ولا يتخذ ذلك قاعدة حتى لو كانت قاعدة محكوماً عليه بالقلة ؟.[1]

4- حَكَمَ ابن جنّي بالقبح على قراءة أهل الكوفة:﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ [الحج: 15].

بتسكين اللام؛ لأنّ (**ثمّ**) منفصلة يمكن الوقوف عليها، فلا تخلط بما بعدها فتصير معه كالجزء الواحد ، لكن قوله (**فلْينظر**) حسن جميل ، لأنّ الفاء حرف واحد ، فيلطف عن انفصاله وقيامه برأسه ".

ولذا قال ابن جنّي وفريق من النّحويين لا يجوز تسكين لام الطلب بعد (**ثمّ**) إلاّ في ضرورة الشعر، و لم ينتبهوا للقراءة المتواترة (**ثمّ لْيَقْطَعْ**)، (**ثمّ لْيَقْضُوا**) فقد قرأ جمهور القراء السبعة بتسكين اللام[2].

1- المرجع السابق، ص:202.

2- سعيد الأفغاني ، في أصول النّحو ،مرجع سابق ، ص:38 .

5- وقال طائفة فيهم المازني والأخفش والمبرّد ، وابن السرّاج ، والفارسي : لا يجوز صوغ اسم التفضيل من (**أَفْعَل**) الرباعي إلاّ شذوذاً و لم يلتفتوا إلى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾ [البقرة : 282]، فإنّهما مصوغان من (**أَقْسَطَ**) و(**أَقَامَ**) ، ولا يجوز أن يقال إنّه من (**قَسَطَ**) الثلاثي لأنّ معناه جَارَ و لم يَعْدِلْ ، و هو عكس المراد من الآية الكريمة .[1]

وأمثلة طعن النّحاة في القراءات كثيرة ، ومن هنا يظهر أنّ القوم قرّروا بعض قواعدهم ، و حرّروا بعض ضوابطهم ، قبل أن يستقروا القرآن الكريم ، ويستقصوا وجوه قراءاته كاملة ، وعندما يجدون قاعدة من قواعدهم هذه تقْصر عن شمول بعض القراءات المعتبرة ، يعمدون إلى التأويل يقلّبون وجوهه وألوانه .

ونحن نقول لبعض الغلاة من متشدّدي النّحاة ، هبكم تتّهمون بعض رجال الإقراء بالتساهل في الرواية أتتهمونهم بالخروج عن صميم العرب الذين يُحتجُّ بقولهم ، وهل الراعي والأخطل مثلاً أعرق في الفصاحة من ابن عامر وابن العلاء ؟؟ !.[2]

ثالثاً: منهج النّحاة في التقعيد.

انتقدوا منهج النّحاة في استعمالهم المنطق اليوناني في دراسة اللغة، فأدّاهم ذلك إلى إهمال منطقها، والتفلسف في عللها، وأنّهم وضعوا القواعد ثمّ حكّموها في النّصوص ولو كانت قرآنية.

1- طه الرّاوي ، نظرة في النّحو ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، سوريا ، المجلد الرابع عشر ، الجزء 9و10، ص: 323.
2- المرجع نفسه،ص: 325.

وقد لاحظ بعض الدارسين المحدثين أنّ اللغويين القدماء وقعوا – عند استقرائهم كلام العرب – في مخالفات منهجية تتصل بـــ:[1]

- تحديد المستوى اللغوي.
- ضعف الاستقراء النّحوي.
- تعدد مصادر الاستقراء.

أولاً: تحديد المستوى اللغوي : المراد به هو بناء النّحاة قواعدهم على مستوى لغوي واحد ، هو العربية الفصحى ، أو ما يعرف بـــ"اللغة الأدبية المشتركة" فقد اعتمد النّحويون على مادة لغوية محدّدة بزمان ومكان معينين ، فعمدوا إلى دراسة مجموعة من اللهجات في نحو واحد من دون تمييز بينهم أو إدراك لحقيقة أنّها أنحاء مختلفة ، وهذا ما قال به تمام حسّان :"ومن هنا نجد الخطأ المنهجي الذي وقع فيه النّحاة القدماء حيث لم يقتصر كل واحد منهم على فرد معين من قبيلة بعينها ، وإنّما عمدوا إلى دراسة لهجات كثيرة سمع كل منها من أفواه كثيرة في نفس الوقت ".

وهذا الخلط الجغرافي – في نظر المحدثين – بين اللهجات تبعه خلط تاريخي أو زمني آخر وهو أنّ النّحويين شملوا بدراستهم اللغة العربية مراحل متعاقبة تبدأ من حوالي خمسين ومئة عام قبل الإسلام وتنتهي عندما سمّوه بـــ(عصور الاحتجاج) أي : ما يقرب من ثلاثة قرون من تاريخ لغة العرب شملوها بدراسة واحدة و لم يراعوا التطور الطبيعي الذي يلحق أية لغة من اللغات.

1- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النّحوي، مرجع سابق، ج1، ص:242.

ثانيا : ضعف الاستقراء النّحوي : وذلك من خلال :

أ- أخذ اللغة من قبائل ست(06) "تاركين ما عداها من باقي القبائل التي تجاوزت الثلاثين قبيلة "كما يقول الأستاذ عباس حسن [1].

ب- ما ذكره د.محمد عيد من أنّ من نواحي الضعف في استقراء النّحاة ،راجع إلى أمرين :[2]

1- أنّه استقراء ناقص ، يؤدي – أحياناً – إلى نتائج قاصرة أو غير صحيحة .

2- أنّ النّحاة يعطون لاستنتاجاتهم حقّ التنزه عن مجانبة الصواب .

ثالثاً :تعدد مصادر الاستشهاد : أي أنّ الفكر النّحوي لم يحاول الفصل بين الشعر والنثر في التقعيد ، بل خلط بينهما ، فأدّى هذ الخلط إلى اضطراب في بعض الأحكام .

ومن بين القضايا الهامة التي تناولها كثير من الباحثين المحدثين وأثاروها في مصنفاتهم ، وسلطوا الضوء عليها قضية أصالة النّحو العربي والمؤثرات الخارجية فيه .

وإذا كان أبو بكر السراج من أوائل من تأثر من النّحاة البصريين بالمنطق وأفاد منه في منهجه في الدراسات النّحوية ، فقد سار على نهجه النّحاة البصريون من بعده : كأبي سعيد السيرافي (ت368هـ) ، ثمّ أبي علي الفارسي (ت377هـ) ، حيث نجد أثر الثقافة المنطقية واضحاً لديهما ، وتأثرهما بالبحوث المنطقية يؤكدها – كما يقول د.أبو المكارم – إنتاجهما النّحوي [3].

1- عباس حسن، اللغة والنّحو بين القديم والحديث، مرجع سابق،ص: 69.

2- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النّحوي، مرجع سابق، ج1، ص: 249.

3- منصور بن عبد الله الغفيلي ، مآخذ المحدثين على النّحو وآثارها التنظيرية والتطبيقية ، مرجع سابق ، ص:141.

كذلك علي بن عيسى الرّماني (ت374هـ) الذي قال عنه أبو علي الفارسي "إن كان النّحو ما يقوله الرّماني فليس معنا منه شيء "، وإن كان ما نقوله فليس معه منه شيء فقد كان من إيغاله في الحيل والمنطق ؛ بحيث كان المتصلون به لا يفهمون شيئاً من كلامه[1].

لقد انتقد الباحثون المحدثون هذا التوجه من النّحاة المتقدمين ، وإغراقهم في العلل ، ويرون أنّ هذه الأفكار حملت بذور ثورة على الإغراق في العلل حمل لواءها ابن مضاء القرطبي (ت592هـ) في كتابه الشهير (الردّ على النّحاة) ؛ حيث هاجم فيه هذا النّمط من العلل ، ونادى بإلغاء العلل الثواني ، والثوالث [2].

ويؤيد الدكتور محمد عيد موقف ابن مضاء في عدم قبوله العلل ؛ مؤكداً أنّ ابن مضاء في رأيه هذا وافق المنهج الحديث ؛ حيث إنّه قبل بوصف النّص ، وذكر خواصه ، ورفض الغاية من النّص [3].

وأمّا نظرية العامل وهي أهم الأفكار التي ترتبط بالتعليل، وهدفها: وضع تعليل مقبول للصورة الإعرابية التي جاءت الجملة العربية عليها، وبذلك يكون العامل وسيلة من وسائل التعليل.

ويكاد يجمع الباحثون المحدثون على أنّ النّحاة أقاموا هذه النظرية على فكرة فلسفية ، وهي أنّ لكل معلول علّة ، وبالتالي فكل حركة تطرأ على أواخر الكلمات ؛ إنّما هي نتيجة لعامل معين . وهذا ما ذهب إليه الدكتور كاصد ياسر الزيدي (وهو من دعاة النّحو القرآني) بقوله : "غير أنّ النّحاة تأثروا بالمنطق الأرسطي ومقولاته ، فانتقلت عدوى هذا التفكير الذي يخلط بين الدراسات اللغوية

1- المرجع السابق، ص:142.

2- ابن مضاء القرطبي ، الردّ على النّحاة ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982، ط3، ص:131-133.

3- محمد عيد ، أصول النّحو العربي في نظر النّحاة ورأي ابن مضاء و ضوء علم اللغة الحديث ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1997، ط5، ص: 144- 145.

والدراسات المنطقية والميتافيزيقية ، إلى اللغة العربية ، ودراستها ، وبالأخص أصل اللغة والدراسات النّحوية ».

ويضيف قائلاً: وقد انتهى هذا المنهج بالنّحاة إلى مزج النّحو ولاسيما علله بالمنطق... فمن هذه القواعد قولهم "إنّ الأداة لا تعمل حتى تختصّ،... ولذلك لم يُجيزوا عمل (ما) الاستفهامية، لدخولها على الاسم تارة وعلى الفعل أخرى[1].

أمّا أحمد عبد الستار الجواري (من أقطاب النّحو القرآني) فقد بدا أقلّ حدّة في موقفه من نظرية العامل، إذ يرى أنّها تبيّن بعض الحقائق العلمية التي طغى عليها الجمود والإغراق في التفلسف.

ويعطي أمثلة كثيرة لما أسماه (مشكلات العامل) ، وفي النّهاية فهو مسؤول – كما يعتقد– عن خروج الإعراب عن حقيقة معناه ، وعن تعقيد قواعد النّحو ، وخلق أبواب لا لزوم لها ، ولا فائدة فيها[2].

وخلاصة ماسبق هو أنّ هؤلاء الباحثين يرون أنّ كل ما سبق التعرض إليه هي مظاهر جلية لتأثر النّحاة بالمنطق ، وإقحام للفلسفة الكلامية في البحث النّحوي ، ولذلك نادى هؤلاء الباحثون إلى إلغاء نظرية العامل ، ورفض كل ما يتعلق بها من حذف ، وتقدير ، وتأويل ، وتعليل ؛ ليخلص النّحو العربي ،وقواعده من أصول الفلسفة وآثار المنطق .

المبحث الثاني : حجج المعارضين للنّحو القرآني .

يقرّ بعض النّحاة المعاصرين بأنّ كثيراً من أساليب العرب لم ترد في القرآن الكريم ، يقول الأستاذ عبد الخالق عضيمة : " ولست أقول بأنّ القرآن الكريم قد تضمن الأحكام النّحوية ، فالأساليب التي

1- كاصد ياسر الزيدي ، دراسات نقدية في اللغة والنّحو ، دار أسامة ، عمان ، ط1،2003م، ص:68

2- أحمد عبد الستار الجواري ، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي ، مرجع سابق ، ص: 39-49.

لم يرد لها نظير في القرآن لا يلتفت إليها ولا يعمل بها وإنّما أقول ما جاء في القرآن كان حجّة قاطعة ومالم يقع في القرآن نلتمسه من كلام العرب "[1].

إنّ المتتبع يجد أنّ موضوعات كثيرة لم ترد في القرآن الكريم ، والعبرة في ذلك أنّ القرآن الكريم كتاب تشريع سماوي وليس كتاب نحو مجرّد في وضع القواعد النّحوية ، فهناك موضوعات نحوية لا نستطيع أن نجد جميع أمثلتها في القرآن الكريم ؛ فالأسماء الخمسة مثلاً وهي (**أبو ، حمو ، فو ، ذو ، وأخو**) أو الستة بإضافة (**هنو**) إليها لم يذكر القرآن الكريم منها (**حمو**) ولا (**هنو**) ووفقاً لمذهب أصحاب النّحو القرآني فإنّ الباب سيكون عنوانه (**الأسماء الأربعة**) بدلاً من الأسماء الستّة .

والأفعال النّاقصة (كان وأخواتها) تشمل (**كان ، وظل ، بات، صار، أصبح، أمسى ، أضحى، ليس ، مازال، مابرح، مافتئ، ماانفك ،مادام**) هذه الأفعال منها مالم يرد في القرآن الكريم وهي (**أضحى ، أمسى ، صار ، ومماانفك**) .

وهذا ينطبق على أحرف النّداء فإنّ حروفه هي (**يا ، أيا، هيا، وأي ، والهمزة**) ولم يرد منها في القرآن سوى حرف (**يا**) ، فهل نحذف جميع حروف النّداء و لا نعمل بها ونقتصر على الحرف (**يا**) خدمة للغة العربية وأهلها ، ثمّ إنّ هناك عبارات فصيحة وردت في الكلام العربي ولم يرد ذكرها في القرآن مثل (**لاسيما**) و(**ليت شعري**)، وقد بُحِثت في كتب النّحو فهل تحذف كذلك ولا نتكلم بها ؛ لأنها غير موجودة في القرآن ليس هذا فقط بل هناك موضوعات نحوية كاملة لم يرد في القرآن ذكر لها

1- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن ، مرجع سابق ، ق1، ج1،ص:12-13.

كأسلوب الاختصاص والترحيم والندبة ، فهل علينا عدم التكلم بهذه الأساليب لعدم ورودها في القرآن بل وردت في أبحاث النّحاة بشكل مفصل إذ لا يستطيع متعلم النّحو الاستغناء عنها [1] .

وعلى الرغم مما أوردناه من الأساليب التي لم ترد في القرآن يزعم بعض المعاصرين أنّ جميع أساليب العربية وردت فيه وزيادة ، قال خليل بنيان الحسون :" بل إنّ القرآن اشتمل على كل المحتاج إليه من أحكام اللغة سوى الشاذ والنادر وما لا تقتضيه الحاجة وزيادة نعم وزيادة ، والدليل على ذلك أنّ النّحو منذ نشأته حتى الآن لم يستوعب كل ما تمثل في القرآن من الأحكام والتراكيب الأسلوبية "[2].

ولذلك نستطيع أن نقول بأنّ النّحاة القدماء لم يستطيعوا الالتزام الحرفي بالنّص القرآني واعتماده اعتماداً كليًّا في بناء قواعد النّحو العربي ، و حماسة النّحاة المعاصرين وحدها لا تكفي .

وللتفصيل أكثر في عرض أدلة الرافضين للنّحو القرآني ، توجب علينا التطرق للعناصر التالية :

أولا: الاعتماد على الشعر : رغم ورود بعض الإشارات من السابقين تؤكد عناية النّحويين بالشعر ، وولعهم بحفظه وروايته ، إلاّ أنّهم لم يصرحوا بغلبة الشاهد الشعري ، واستبداده بجهد النّحويين على حساب الشاهد النثري كما ذهب إليه بعض المحدثين .

ومن أمثلة الإشارات الواردة عند السابقين عن عناية النّحويين بالشعر ، ما جاء عن المازني في قوله : " قلت للأصمعي : إنّك لتحفظ من الرجز مالا يحفظه أحد !.فقال : إنّه كان هَمُّنا وسَدَمُنا "[3].

1-كامل بناي العلايلي ، استقاء قواعد النّحو من القرآن ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، دبي ، ع3، 1997، ص:13-14.

2- خليل بنيان الحسون ، النّحويون والقرآن ، مرجع سابق ، ص:08.

3- محمد بن عمار درين ، الصبغة الشعرية للنّحو العربي بين الحقيقة والادّعاء ، مجلة الدراسات اللغوية ، مج 9 ، ع2،(ربيع الآخر ، جمادى الآخرة ، 1428هـ/مايو، يوليو،2007م) ،ص:90.

وممن رفع لواء هذه الدعوى من المعاصرين محمد عيد في مواضع عدّة من كتبه ، من ذلك قوله : " إنّ الظاهرة الواضحة في كتب النّحو العربي هي الاعتماد الأساسي على الشعر ؛ إذْ يكون وحده العنصر الغالب في دراسات المتقدمين والمتأخرين من بين مصادر الاستشهاد " [1].

ودعوى أنّ النّحاة اعتمدوا في قواعدهم على الشعر أكثر من اعتمادهم على القرآن قد ردّدها كثير من الدارسين المعاصرين ، وحجّتهم أنّ شواهد سيبويه الشعرية أكثر من شواهده القرآنية ، وهي حجّة داحضة لأسباب كثيرة منها :

1- إنّ نسبة شواهد الكتاب الشعرية بالقياس إلى ديوان العرب نسبة ضئيلة جداً إذا ما قورنت بنسبة شواهده القرآنية إلى آيات القرآن الكريم ، فشواهد الكتاب الشعرية التي قيل إنّها ألف وخمسون بيتاً ليست شيئاً أمام الكم الهائل من شعر الشعراء العرب الفصحاء ، الذين جمع دواوينهم ورواها العلماء الموثوق بهم ، أمثال الأصمعي والضبّي وغيرهما .

2- إنّ القرآن الكريم كما قال الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح مدونة مغلقة ، في حين كان كلام العرب الفصحاء في عهد سيبويه لا يزال مدونة مفتوحة وبالضرورة يكون عدد الشواهد الشعرية من كلام العرب ومنه الشعر أكثر من شواهدها من القرآن ، وهذا أمر طبيعي مرده الواقع لا تَحيُّفَ النّحاة ولا تفريط سيبويه [2].

1- المرجع السابق، ص:90-91.

2- محمد بن حجر ، الاستدلال في كتاب سيبويه -طبيعته وأنماطه- ، أطروحة دكتوراه ، إشراف : مخلوف بن لعلام ، جامعة البليدة ، الجزائر ، العام الجامعي 2013، ص: 135.

3- قال الدكتور محمد خير الحلواني : " قد تؤدي النّظرة الأولى في تراث النّحو العربي إلى أنّ لغة الشعر طغت على لغة القرآن النثرية ، لأنّها ستقع على خمسين وألف من شواهد الشعر في كتاب سيبويه مثلاً ، وعلى أقل من نصف هذا العدد من آي القرآن الكريم ،لكن النظرة المتمهلة المتأملة تجد أنّ سيبويه كان يعول على كلام العرب المحكي - وهو نثر – أكثر ممّا يعول على الشعر ، فإذا اجتمع ما جاء من شواهد القرآن ، وما ورد من كلام العرب ، أَرْبَتْ الشواهد النثرية في (الكتاب) على شواهد الشعر ".قال : " ومثل سيبويه الكسائي والفرّاء والأخفش "[1].

إنّ القرآن الكريم مادام مدونة مغلقة فهو نص محدود ، ومادام معجزاً فهو بليغ ، لذا لن يستعمل إلاّ الأساليب الراقية ، وبالتالي فهو لن يستوعب كل أساليب العرب التي منها البليغ ومنها دون ذلك. وينتهي الدكتور محمد بن حجر إلى حوصلة لدراسته لهذه القضية تحت عنوان : خلاصة الكلام :"أنّ الكتاب اشتمل على 569 باب حوت 720 فصل ، استشهد سيبويه بالقرآن في 189 باب منها ، وغالباً يذكر أكثر من آية في الباب الواحد ، بل في المسألة الواحدة ... واقتصر على الاستشهاد بالقرآن وحده في 138 مسألة دون ذكر الشعر ، وبدأ بالقرآن مباشرة بعد عنوان الباب دون ذكر الأمثلة في 42 باباً ، وبدأ بالقرآن قبل الشعر في 35 باباً ، وبدأ بالشعر قبل القرآن في 16 باباً فقط ، وهذه من الأساليب التي لا وجود لها في القرآن ، ومن المعلوم أنّ القرآن لم يستوعب جميع صور النطق الصحيح عند العرب "[2].

1- محمد خير الحلواني ، أصول النّحو العربي ، إفر يقيا الشرق ، المغرب ، 2011، ص: 76.

2- محمد بن حجر ، الاستدلال في كتاب سيبويه -طبيعته وأنماطه- ،مرجع سابق ،ص:136.

وبهذا يظهر لنا أنّ قول عضيمة عن سيبويه "ولو قيس استشهاده بالقرآن باستشهاده بالشعر لوجدنا الشعر قد غلب عليه واستبد بجهده ..." [1] أنّه مجانب للصواب تماماً ، كيف لا وقد عرضنا موقف سيبويه من النّص القرآني وهو موقف سائر النّحاة من قبله كالخليل ويونس بن حبيب ، والأخفش ، وعيسى بن عمر الثقفي ، وغيرهم ...هذا كله بالإضافة إلى ما عُرِف في الدرس النّحوي من اتجاه مبكر نحو نص القرآن الكريم يعنى بإعرابه وبيان معانيه عناية لم تنلها أشعار العرب .

ثانياً- النّحاة والقراءات : لقد أسهم خلطٌ كثيرٍ من الباحثين المحدثين في مواقفهم من النّحاة بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية ، فعلى حين كانت الحدود واضحة في أذهان النّحاة المتقدمين ؛ فإنّ الأمر يختلف لدى بعض المحدثين حيث لم يفرقوا بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية في تناولهم ونقدهم للنّحاة المتقدمين .

تقول الدكتورة خديجة الحديثي :" لم يكن في النّص القرآني اختلاف ؛ لأنّه من لدن عزيز حكيم ؛ وإنّما كان الاختلاف في قراءاته ، ومن هنا وقف النّحاة مواقف مختلفة منها "[2].

ولقد حاول الدكتور محمد حسن عواد الدفاع عن النّحاة الأوائل عند عرضه لموقف النّحاة من القراءات القرآنية بقوله : " ولا يعول على بعض ما نسب إلى بعض النّحاة كالفرّاء والمبرّد والمازني

1- محمد عبد الخالق عضيمة ،دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،مرجع سابق ، ج1،ص:9

2- خديجة الحديثي ، الشاهدوأصول النّحو في كتاب سيبويه،مطبوعات جامعة الكويت، 1974م،(د.ت)،(د.ط)، ص:29.

والزمخشري من طعن في بعض القراءات القرآنية ووصفها بالضعف أو الوهم أو الغلط أو اللحن أو الشذوذ أو نحو ذلك ، ولا يعول على ذلك للأسباب الآتية :[1]

السبب الأول: إنّ هذا الموقف لا يمثل النّحاة جميعاً وإنّما هو محصور في بعض النّحاة.

السبب الثاني : دافع نحاة آخرون عن القراءات القرآنية دفاعاً قوياً كأبي حيّان الأندلسي ، وابن هشام الأنصاري ، وابن الطيب الفاسي وغيرهم كثير . يقول أبو حيان في البحر المحيط مهاجماً المازني مدافعاً عن نافع "ولسنا متعبدين بأقوال أهل البصرة ".

ويقول ابن هشام الأنصاري "مرجع القراءة الرواية لا الرأي " ، ومعنى قوله هذا عدم جواز الطعن في القراءة لأنّ القارئ يروي كما سمع ولا يجتهد ،...

السبب الثالث : في عدم التعويل على طعن بعض النّحاة في بعض القراءات أنّ هذه الطعون تمثل أحرفاً معدودة ، يقول شوقي ضيف : " ولعل في هذا ما يشهد شهادة قاطعة بأنّه –أي الفراء – وأمثاله ممن كانوا يردّون بعض القراءات التي لا تعدو أحرفاً معدودة " .

السبب الرابع : أنّ التعبير قد خان بعض النّحاة حين وصف بعض القراءات باللحن أو الغلط أو الوهم ولو أنّ المتقدمين قالوا "هذه قراءة تخالف القياس ، أو خارجة عن القاعدة أو نحو ذلك من غير اللجوء إلى الطعن و التلحين والغلط والوهم والخطأ" لكان صواباً ....[2]

1- أحمد مكي الأنصاري ، نظرية النّحو القرآني ، ص: 50-51، نقلاً عن (قراءة في كتاب : نظرية النّحو القرآني) للدكتور محمد حسن عواد ، مرجع سابق ، ص:138.

2- المرجع نفسه ، ص:138.

وهذ دفاع وجيه ومعلل ينم عن رؤية متكاملة لقضية القراءات وما ثار حولها من جدل بخصوص بعض الطعون التي وجهت من قبل بعض النّحاة إلى القرّاء على عكس ما ذهب إليه أصحاب النّحو القرآني في دعوى مفادها أنّ النّحاة طعنوا في القراءات القرآنية ، وأنّ ذلك بسبب وضعهم لقواعد النّحو أولاً ثم عرض القراءات عليها ثانياً .

لقد عمل أحمد مكي الأنصاري جاهداً على تصوير صراع بين النّحاة والقرّاء ، واعتضد في دعواه بكلام الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة مثل قوله : " ولو أراد دارس النّحو أن يحتكم إلى أسلوب القرآن وقراءاته في كل ما يعرض له من قوانين النّحو والصرف ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ..."[1]

فقال الأنصاري : " من كل ما سبق ترى أنّ الفكرة العامة واحدة متحدة بيني وبين الشيخ عضيمة ، وهي عدم الارتياح إلى مواقف بعض النّحاة من القراءات ، وهو عالم جليل من طبقة المحافظين ، فلا يتّهم في دين أو خلق ، كما أنّه متخصص مثلي في الدراسات النّحوية ، فلا توجه إليه تهمة التعصب ضد النّحو والنّحويين ،..."[2]

ويبدو أنّ لبعض المحدثين حملة ظالمة على النّحاة القدامى، وهي مما يؤخذ على المحدثين ، ولا أدل على ذلك ممّا جادت به قريحة الباحث الدكتور سليمان يوسف خاطر في أطروحته للدكتوراه "منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين عليه " قائلا: "والباحث لا يتفق في هذا الموضع مع العلامة محمد عبد الخالق عضيمة في وصفه مواقف بعض النّحاة اتجاه القراءات ونقدهم لبعضها بالحملة الآثمة حيث يقول :" هذه الحملة الآثمة استفتح بابها وحمل لواءها نحاة البصرة

1- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ق1،ج1، ص:09.

2- محمد حسن عواد، قراءة في كتاب: نظرية النّحو القرآني، مرجع سابق، ص:144.

المتقدمين ، ثمّ تابعهم غيرهم من اللغويين والمفسرين ، ومصنفي القراءات "؛ لأنّ هذا القول يجعل هؤلاء الأعلام آثمين لا مجتهدين ..."[1].

ويضيف قائلاً : " أمّا الدكتور أحمد مكي الأنصاري فأمره أعجب من ذلك ، إذ عمد إلى صياغة عناوين بحوثه وكتبه بأسلوب يوحي بالتشهير مثل (نظرية النّحو القرآني) و(الدفاع عن القرآن الكريم ضد النّحويين والمستشرقين) . وكأنّ نحو السابقين من السلف خلال ما يزيد عن ثلاثة عشر قرناً لم يكن قرآنياً ، حتى جاء هو ليضع نظرية للنّحو القرآني ، ويجعل نفسه محامياً يدافع عن القراءات ضد النّحاة والمستشرقين ، ولا بأس بأن يدافع عنها ضد المستشرقين ، ولكن أن يجمع معهم النّحاة ويجعلهم مساوين للمستشرقين ، فهذا فيه حيف شديد وظلم عظيم ، وخروج عن جادّة الصواب باللغو والشطط"[2].

ونحن بدورنا لا نتفق مع محمد عبد الخالق عضيمة في طعنه في الأئمة الأعلام والتقليل من شأنهم ، وكفران جهودهم في خدمة لغة القرآن ونقول أيضاً للدكتور الأنصاري إنّ الخلط بين أولئك المستشرقين الشاكين في القرآن وهؤلاء النّحاة الأعلام ظلم للحقيقة والتاريخ ، ولا يسوغها المنهج العلمي لأنّه لا جامع بينهما ، وصاحب الكتاب (الأنصاري) لم يذكر شيئاً عن المستشرقين فيه ذاكراً أنّ الظروف القاهرة حالت دون ذلك كما جاء ذلك في مقدمة كتابه في الصفحة (ب).

هذا ولا مانع من نقد كلام القدماء في تراثنا العظيم ، ولكن ما هكذا ياسعد تورد الإبل .

1- سليمان يوسف خاطر ، منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين عليه ، أطروحة دكتوراه ، إشراف : عبد الله الطيب والخير يوسف نور الدائم ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، العام الجامعي 1420_1421هـ/1999-2000م، ص: 134.

2-المرجع نفسه ، ص: 135.

وقد ردّ أيضاً إبراهيم عبد الله رفيدة في كتابه (النّحو وكتب التفسير) على أحمد مكي الأنصاري ردّاً لا مزيد عليه بقوله :" وهو إذْ يسوق الأقوال ينثر بينها ماشاء له هواه من التعليقات والاتهامات ، والأوصاف، فالنّحويون المتّهمون طغاة حسب منطق هذا الكاتب فهو يقول : ماذا أقول لهؤلاء الطغاة من النّحاة ؟... إنّني لا أجد شيء أقوله أكرم من قولي «سامحهم الله » أو يقول:" ولكن النّحاة الطغاة نسوا كل ذلك أو تناسوه لحاجة في نفس يعقوب " .كأنّه يقصد أنّهم ما فعلوا ذلك إلاّ عن طوية منحرفة ومقصد خبيث ، ..."[1]

ويختم إبراهيم عبد الله رفيدة نقده للأنصاري بقوله :" إلى غير ذلك من الأقوال والتعليقات التي من الخير الكفّ عن إيرادها لما فيها من الشطح الغريب ، والبعد عن الفضائل التي امتاز بها أسلافنا السّابقون وفي مقدمتها عفّة اللسان ، وإجلال السلف ، والإضافة إلى أعمالهم بأسلوب هادئ رزين – ممن يملك الإضافة !- لا بالإعلان عن النفس وتزكيتها ، والتبجح بجمع الأقوال و المضاربة بينها ونبز أئمتنا السابقين "[2].

وجدير بالذكر أنّ القراءات المتواترة التي ثبت طعن النّحاة فيها قليلة جداً ، لم يذكر منها الأنصاري في كتابه (**الدفاع عن القرآن**) إلاّ سبع (07) قراءات ، ولأنّ نحاة آخرين أكثر منهم قد دافعوا عن هذه القراءات وبيّنوا وجه صحّتها وموافقتها لقواعد العربية هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنّ أكثر الطاعنين في بعض القراءات إنْ لم نقل كلهم كانـــوا نحاة وقـــرّاء في نـــفس الوقت ، ولعـــل أولهم

1- إبراهيم عبد الله رفيدة ، النّحو وكتب التفسير ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراتة ، ليبيا ، ط3، 1989، ص: 1135.

2- المرجع نفسه ، ص1136.

هو أبو عمرو بن العلاء الذي عاب قراءة ابن مروان ﴿هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ﴾[هود : 78]. بنصب (أطهرَ) على أنّه حال ، وقال: احتى ابن مروان في هذه في اللحن "[1].

وذكر الأنصاري قراءة ابن عامر لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلاَدَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ [الأنعام :137].بالفصل بين المتضايفين وأنّ : "طائفة من النّحاة الطغاة –سامحهم الله– وقفوا موقف المعارضة من هذه الآية الكريمة في أعلى قراءاتها وهي قراءة سبعية "[2].

منهم الفرّاء وأبو علي الفارسي وابن خالويه ، وفي معرض الرّد عليهم لم يجد الأنصاري بُدّاً من الاستعانة في ذلك بابن مالك النّحوي .

وإذا كان الأمر كذلك ، فأين النّحو القرآني ، فإنّ الأمر لا يعدو أن يكون خلافاً بين النّحاة ؟.

وصدق محمد حسن عواد في ردّه على الأنصاري إذ يقول :" والذي أراه أنّ الباحث– أي الأنصاري – إذا فرّ من البصرين وقع في قبضة الكوفيين ، وهم جميعاً نحاة ، اعتمدوا القرآن وكلام العرب ، وليس ثَمّة شيء اسمه نحو قرآني أو نظرية النّحو القرآني ، إلاّ إذا أقام الباحث قواعد جديدة تباين كل ما أورده النّحاة من قواعد وشرط هذه القواعد أنّ تنتزع من القرآن الكريم وقراءاته "[3].

وهذا نقد قويّ جداً لأصحاب نظرية النّحو القرآني وتحدّ قائم مفاده وجوب وضع قواعد جديدة بعيداً عن قواعد النّحاة الأوائل وأنّى لهم ذلك ؟ !.

1- سليمان يوسف خاطر ، منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين عليه، مرجع سابق ، ص: 235.

2- أحمد مكي الأنصاري ، الدفاع عن القرآن ، مرجع سابق ،ص:104.

3- أحمد مكي الأنصاري ، نظرية النّحو القرآني ، ص: 50-51، نقلاً عن (قراءة في كتاب : نظرية النّحو القرآني) للدكتور محمد حسن عواد ، مرجع سابق، ص: 153.

ثالثاً– أصالة النّحو العربي ومنهج النّحاة : لقد دندن كثيراً أصحاب النّحو القرآني حول قضية أصالة النّحو العربي والمؤثرات الخارجية فيه ، واستعمال المنطق اليوناني والتفلسف والإغراق في العلل إلى جانب ضعف الاستقراء النّحوي ونقصه وذلك بأخذ اللغة من قبائل ست (06) تاركين ماعداها من باقي القبائل والاعتماد على مادة لغوية محددة بزمان ومكان معينين .

وبالتالي رفضوا نظرية العامل بحجة قيامها على فكرة فلسفية وهذا ما ذهب إليه أحمد عبد الستار الجواري (من أقطاب النّحو القرآني) وكذلك الدكتور كاصد الزيدي (وهو من دعاة النّحو القرآني) بقوله :" غير أنّ النّحاة تأثروا بالمنطق الأرسطي ومقولاته ، ...".وقال أيضاً : " وقد انتهى هذا المنهج بالنّحاة إلى مزج النّحو ولا سيما علله بالمنطق ..."[1].

لا شكّ أنّ القرآن الكريم كان السبب الأكبر والأول في نشأة النّحو ، وعلوم العربية التي أصلها وأولها النّحو ، وإنّ هذه النشأة كانت في رحابه ، وإنّ اللحن في قراءاته ، كان هو اللافت للنظر ، والداعي إلى تقنين كلام العرب ، بما يحفظ عليهم لغتهم ، سليمة من اللحن ، فصيحة .

يقول عبد الرحمن الحاج صالح : " إنّ الواضعين للنّحو من العرب قد انطلقوا من استقراء النّص القرآني لاستنباط أصول العربية وكان القصد الأول من ذلك هو أنْ يستطيع غير الفصيح أن يقرأه كما أُنزل بدون تحريف ، ولذلك وضعوا نظاماً من النقط للدلالة على الحركات ولبيان الإعراب خاصة "[2].

1-كاصد ياسر الزيدي ، دراسات نقدية في اللغة والنّحو ، مرجع سابق ، ص:68.

2- عبد الرحمن الحاج صالح ، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة رغاية ، الجزائر ، 2012، ص: 07.

ونقط المصحف الذي قام به أبو الأسود الدؤلي هو الذي أدّى إلى بيان ما تمتاز به اللغة العربية من إعراب أي تغير أواخر الكلمات باختلاف العوامل الداخلة عليها ، وهو ما تطور فيما بعد على يد الخليل وسيبويه ، وعرفه المتأخرون بنظرية العامل .

والقياس الذي استعمله علماؤنا في تقعيد اللغة ليس هو القياس الأرسطي كما توهم بعض الدارسين المحدثين ، بل هو حمل النظائر من لغة القرآن وكلام العرب شعراً ونثراً بعضه على بعض ، حتى إذا اطّرد منه صنف جعلوه قاعدة لا يجوز الخروج عليها.

وقد اختلف النّحاة في القياس على القليل أو الشاذ فبعضهم يمنع ، وبعضهم يجيز ، ولكن أغلبهم يقول (يحفظ ولا يقاس عليه) .

ويقول علي أبو المكارم في معنى القياس عند الأوائل:" إنّه يرتكز على مدى اطّراد الظاهرة في النّصوص اللغوية، مروية أو مسموعة، واعتبار ما يطّرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها، وتقويم ما يشذ من نصوص اللغة عنها، ..."[1].

ومعلوم أنّ علماء اللغة لما قاموا بسماع اللغة وجمعها من أفواه الفصحاء مسحوا شبه جزيرة العرب كلها وليس كما زعم بعضهم أنّهم ما أخذوا اللغة إلاّ عن ست (06) قبائل أو سبعة (07) ، ولا أنّ شواهدهم في كتبهم هي كل ما سمعوه واستقروه . وهذا ما أكده تأكيداً شافياً عبد الرحمن حاج صالح بقوله : " فكيف يكون استقراؤهم ناقصاً ، وقد مسحوا شبه الجزيرة مسحاً كاملاً (في

1- علي أبو المكارم، أصول التفكير النّحوي، دار غريب، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص:27.

رقعتها الفصيحة) لم ير له مثيل ، فلا توجد قبيلة كما قلنا ولا إقليم ولا قرية إلاّ وقد جاء ذكرها وذكر كلام أهلها وما اختصت به من اللغات في هذا المسموع إلاّ القليل النّادر "[1] .

ثمّ تطرق عبد الرحمن حاج صالح إلى قضية جوهرية ألا وهي أصالة النّحو العربي ، وفيما يبدو لنا أنّ بحثه في هذا المجال يُعدُّ من أحسن ما كتب في إثبات أصالة النّحو العربي بالإضافة إلى تفنيده لزعم كثير من المحدثين القائلين بوجود تأثير يوناني في نشأة النّحو العربي .

وإذا كان فريق من المحدثين شككوا في أصالة النّحو العربي ، فإنّ فريقاً آخر من اللسانيين العرب قد أثبتوا أصالته . ومن أبرز من حاولوا إثبات هذه الفكرة الأستاذ عبد الرحمن حاج صالح الذي انتقد ما جاء به المستشرقون وتلامذتهم ، وبيّن زيف دعواهم حيث يقول : " خلاصة القول أنّ جمهور الباحثين والمؤرخين قد قنعوا بوجود تأثير يوناني في نشأة النّحو العربي . و لم يأت أيّ أحد منهم بدليل قاطع ، اللّهم إلاّ ما أخرجه (مركس) من مقارنته للاصطلاحات العربية باليونانية "[2].

1- عبد الرحمن حاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007، ص:323.

2- إبراهيم طبشي ، أصالة الدرس النّحوي العربي من وجهة نظر الأستاذ الحاج صالح مجلة الأثر، العدد 29/ ديسمبر 2017، ص:53.

وقد أفاض الأستاذ في الردّ على هذ المستشرق ، ولكن إذا كان من غير الممكن إيراد هذه الردود بتفاصيلها فإنّه بالإمكان حصرها في النقاط الآتية : [1]

1- اختلاف تقسيم الكلام بين اليونان والعرب : يقول الأستاذ :" لا بدّ ههنا أنْ نبيّن حقيقة قد فاتت مركس وأكثر من عني بهذا الموضوع وهي هذه :

لا يوجد في كتب أرسطو أي تقسيم ثلاثي للكلام مطلقاً ... وإنْ نحن نظرنا في كتاب (الشعر) كما قال رأيناه يقسم ما يسميه (Lexie) وهو المقولة في الترجمة العربية إلى ثمانية أقسام : ..."

2- معنى الحرف عند سيبويه : يخلط مركس بين مصطلح الحرف وبين كلمة (Sundemos) في كتب أرسطو ، وهو يزعم أنّ الحرف عند سيبويه لا يحمل معنى في ذاته ، ولكن الأستاذ الحاج صالح يردّ عليه بقوله : " فمتى يا ترى قاله سيبويه ؟ وقد جاءت في كتابه هذه الحدود " الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل ".

3- الاختلاف في مفهوم الحدث : يزعم مركس أنّ مفهوم سيبويه للحدث مطابق لمفهوم أرسطو ، ولكن يردّ عليه الأستاذ بأنّه من أعظم ما ارتكبه هذا المستشرق من الغلطات ، إذْ إنّ مفهوم الحدث ينحصر عند أرسطو في معنيين :

1- ما يقابل المادة وهو لا يوجد إلاّ في غيره كاللون والصورة ، ...

2- ما يقابل الجوهر ، وهو ما ليس من ماهية الشيء أو جوهره ، كالجلوس والافتراش إذْ ليس هذان الفعلان بلازمين لجوهر الجالس والمفترش .

1- المرجع السابق، ص: 53-54.

أمّا عند النّحاة العرب فيذكر الأستاذ الحاج صالح أنّ الحدث يدل على الفعل والمصدر أي معنى الوقوع وصدور أمر سواء كان ذلك بالتجدد (بالحركة كالجلوس والمشي والأكل ...) أو بالثبوت (بالدلالة على حالة أو حلية أو غريزة كالنوم والحمرة والكرم) .

وينتقد الأستاذ مفهوم الأصالة عند بعض المثقفين فيقول : " كأنّ هؤلاء المثقفين بجعلهم الأصالة في مقابل المعاصرة لا يتصورون هذه الأصالة إلاّ بالرجوع إلى القديم ، فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء لم يسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه . والأصالة في زماننا هي الامتناع من تقليد الغربيين خاصة "[1].

هذا عن أصالة النّحو العربي ، أمّا فيما يتعلق بدعوى أنّ النّحاة فلسفوا النّحو بما تكلفوه من تعليل للظواهر فهو مما اتهمهم به الوصفيون من المحدثين المتأثرين ببنيوية دي سوسير ، بدعوى أنّ الدراسة العلمية للسان هي التي تكتفي بوصف الظواهر ، وقد تجاوزت اللسانيات الحديثة هذا التصور بالنّحو التوليدي التحويلي الذي جاء به تشومسكي ، فتراجع الكثير من المحدثين عن وصفيّتهم وأقرّوا أنّ الذي في نحونا من التعليل هو تعليل لغوي لا فلسفي ولا منطقي .

وأخيراً نقول كما قال محمد حسن عواد إنّ دعاة النّحو القرآني لم يفهوا منهج النّحاة و لم يتصوره جيداً .

المبحث الثالث: موازنة وترجيح.

لقد ارتبطت الدعوة للنّحو القرآني باتجاه تيسير النّحو عند المحدثين من جهة ، و بدراسة القرآن الكريم من دون إخضاعه لقواعد لغة العرب التي لم تستوعب ظواهر القرآن الكريم اللغوية والنّحوية

1- إبراهيم طبشي ، أصالة الدرس النّحوي العربي من وجهة نظر الأستاذ الحاج صالح، مرجع سابق ، ص: 54.

من جهة أخرى ، كما عدّت صلة نشأة النّحو بالقرآن الكريم دليلاً على أصالة النّحو القرآني والذي يُمثِل القواعد التي قامت على أساس القرآن الكريم سواء كانت معها شواهد أخرى تدعمها أم لم تكن لأنّ القرآن الكريم بقراءاته أغنى قواعد النّحو وزاد من قيمتها .

ويعلل أصحاب النّحو القرآني لتوجههم هذا بأدلة وحجج منها قلة الشواهد القرآنية مقارنة بالشواهد الشعرية وطعن النّحاة الأوائل في القراءات وردّها إلى جانب تسرب الأفكار الفلسفية والمنطقية إلى النّحو العربي وتأثر النّحويين بها.

وقد عارض طائفة من الدارسين المحدثين هذا الطرح ومنهم محمد حسن عواد وإبراهيم رفيدة ، وسليمان خاطر ، ومحمد عبد الفتاح الخطيب، وغيرهم معززين أقوالهم ومعارضتهم بحجج وتفسيرات للردّ على أصحاب النّحو القرآني وهذا ما دفعنا إلى محاولة إجراء موازنة بين أدلة الفريقين للوقوف على صحة هذه الحجج ومدى رجاحتها للوصول إلى قراءة جليّة وصورة واضحة فيما يتعلق بهذا الموضوع .

وقد ارتأى الباحثان التركيز على مناقشة كل هذا وفق النقاط الآتية :

أولاً: دعوى قطيعة النّحو مع القرآن والاعتماد على الشعر: ادّعاء أنّ الشعر قد استبدّ بالنّحو غير صحيح، ذلك أنّ القواعد المطّردة ، إذا بنيت على المستفيض ، لم تكن بحاجة إلى شاهد ، وإنّما تحتاج إلى تمثيل كما يفعل النّحاة في مصنفاتهم ، وإنّما يطلب الشاهد فيما يخرج على هذه القواعد .أو الكلام غير المستقيم مع القاعدة الأصلية .[1]

1- نازك نبيل العزام ، الشواهد النّحوية في كتاب سيبويه ، رسالة دكتوراه في جامعة اليرموك ، إشراف : ضمير استيتية ،إربد ، الأردن ، ط1، 2013، ص: 20.

وبذلك يتضح أنّ إطلاق دعوى قطيعة النّحو مع القرآن لبعض المحدثين وعلى رأسهم محمد عيد تتضمن اتهاماً للنّحاة غير مبرّر وذلك لعدة أسباب، منها:

1- أنّ عدد الشواهد الشعرية في أول كتاب نحوي وصل إلينا ، ونعني به كتاب سيبويه ، لا تتجاوز الألف إلاّ بقليل ، مع أنّ عدد صفحات النسخة التي قام بتحقيقها عبد السلام هارون تتجاوز ألفاً وثمانمائة صفحة ، مما يعني أنّ صفحات كثيرة - وهي تحوي قواعد كثيرة جداً- لا تشتمل على شاهد شعري ، بل قد يتوالى أكثر من باب دون أن يوجد شاهد شعري واحد [1].

ويؤيد هذا بدون شك ما أحصاه الدكتور سليمان خاطر بقوله : " وفي الكتاب عدد كبير من الشواهد القرآنية ، بلغت في إحصاء الباحث 458 آية من غير عدّ المكرر ، و 477 آية بعدّ المكرر ، ...، وهذا ما جعل بعض الباحثين يعدُّ كتاب سيبويه باكورة النّظر في تحليل النّص القرآني وتفسيره لغوياً"[2] .

ونلاحظ أنّ هذه النسبة من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم تساوي أضعاف نسبة الاستشهاد بالشعر والنثر معاً في الكتاب ؛ لأنّ الآيات القرآنية محصورة من حيث الكم ، بينما النّصوص الشعرية والنثرية فلا يمكن الإحاطة بها .

2- ما قامت به الدكتورة فائزة بنت عمران المؤيد ، بوضع "كشاف الشواهد القرآنية في المصادر النّحوية " فوجدت أنّ آيات القرآن الكريم في المصادر النّحوية بلغت : ستة آلاف ومئتين وستاً

1- محمد بن عمار درين ، الصيغة الشعرية للنّحو العربي بين الحقيقة والخيال ،مرجع سابق : 112.

2- سليمان يوسف خاطر ، التأويل النّحوي لوجوه القراءات القرآنية في كتاب سيبويه وموقف النّحاة والمفسرين منه ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، العام الجامعي :1417هـ-1418هـ/1996م-1997م ، ص: 77.

وثلاثين آية ، وهي جماع آيات القرآن الكريم ، أي أنّ القرآن الكريم بكامله نُثِر مرّة أخرى في مصادر النّحويين "[1].

وممّا سبق يتأكد أنّ دعوى القطيعة مع القرآن والاعتماد على الشعر مجرد استنتاجات لا تستند إلى أساس متين وهذا لا يعني بحال أنّ الدرس النّحوي الموروث يخلو من العيوب والنقائص.

ثانياً: مسألة النّحاة والقراءات :تعد هذه المسألة هي بيت القصيد إنْ لم نقل حجر الزاوية بالنسبة لدعاة النّحو القرآني حيث انطلقوا منها لإثبات مدى طعن النّحاة الأوائل في قراءات القرآن وإهمالها أثناء التقعيد وخاصة إذا عارضت ما وضعوه من قواعد فإنّهم يردّونها بالتأويل ، وقبل الوقوف على صحة هذه الاتهامات من عدمها وما سبب ردّ النّحاة لهذه القراءات ، يرى الباحثان أنّه من الأجدر عرض بعض المبادئ والأوليات والتي لابد من مراعاتها في مناقشة هذا الموضوع :

أ- **القراءة سُنّة متّبعة**: قال سيبويه : "فأمّا قوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر :49]، فإنّما هو على قوله :زيداً ضربته، وهو عربي كثير .وقرأ بعضهم :﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[فصلت: 17] ، إلاّ أنّ القراءة لا تخالف؛ لأنّ القراءة السنّة [2].

هذا الكلام يدل على مدى اعتداد النّحاة بالقراءة ، وإن خالفت قواعدهم ، وهنا أمران منفصلان : القراءة من حيث هي قراءة ، والقراءة من حيث هي دليل تجري عليه أحكام العربية ، فالأمر الأول موقف النّحاة منه واضح ، وهو التلقي والاتّباع ، والأخذ بما رُوي ، والثاني : يعامل النّحاة فيه القراءة باعتبارها دليلاً سماعياً لا يختلف عن غيره من المأثور عن العرب شعراً ونثراً .

1- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النّحوي، مرجع سابق، ص: 266.

2- سيبويه ، الكتاب ، مرجع سابق ، ج1 ، ص: 144.

ب- النّحو قياس والقراءة رواية :النّحو قياس ، قال الكسائي :" إنّما النّحو قياس يُتّبع " فالنّحو يعنى بالمطرد المقاس ، والقراءة تعنى بالرواية ولزوم المروي ، فلا قياس فيها ، أمّا النّحو فالقياس هو سرّ قيمته ؛ حتى قالوا عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي :"كان أول من بعج النّحو ، ومدّ القياس ، وشرح العلل "[1].

فالنّحوي كل همّه أن يتصرف فيما نقله الراوي ، ويقيس عليه ، بخلاف القارئ الذي من شأنه أن يتقن ما سمع ويؤدّيه كما سمع بأمانة .

ج- ليس كل ما جاز في القراءة يجوز في النّحو: فالقراءة كسائر الكلام العربي منه ما يبنى عليه ويقاس ، ومنه ما يحفظ ولا يقاس .

وبالمثال يتضح المقال : ففي قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [طه: 63]. جاءت القراءة السبعية المتواترة فيه بتشديد النون من (**إنّ**) وبالألف في (هذان) ، فهل من المستساغ أن نجيز الآن قول القائل : إنّ الرجلان فاضلان ؟[2]. وهذا قياسا على هذه القراءة القرآنية **!!**.

فمن الواضح عدم استساغة ذلك من المتكلم اليوم أو الكاتب ؛ إذ مَنْ يستعمل الآن (**إنّ**) بمعنى (**نعم**) ؟ كما خرّجها بعض النّحاة، أو مَنْ الآن الذي يجري كلامه على لغة بني الحارث أو غيرهم في إعراب المثنى بالألف مطلقاً : رفعاً ونصباً وجرّاً ؟كما ذهب نحاة آخرون إلى هذا التخريج لهذه الآية ﴿ **إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾.

1- سعيد الأفغاني ، في أصول النّحو ، مرجع سابق ، ص : 83.

2- محمد عرفة السيد أحمد محمد العشري ، القاعدة النّحوية في ضوء القراءات القرآنية والشعر العربي ،حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، العدد 7، 2017م ص: 2213.

د- تعظيم النّحاة للقرآن والقرّاء والقراءات : ويظهر هذا التعظيم كما لا يخفى فيما ألّفوه في توجيه القراءات ، مثل أبي علي الفارسي في كتابه (الحجة للقرّاء السبعة) وكذلك ابن جني في كتابه (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) فهذا التأليف يدل دلالة قاطعة على تقدير النّحاة للقرّاء و قراءاتهم.

وبعد هذه المقدمات ، نلج في صلب الموضوع مع ملاحظة استوقفتنا ألا وهي شدة انتقاد أصحاب النّحو القرآني للنّحاة الأوائل بسبب مواقفهم من القراءات حيث وصفوهم بأوصاف لا تتناسب إطلاقاً مع جهودهم واجتهادهم لخدمة لغة القرآن الكريم ، فالشيخ عضيمة يصف ما قاموا به بـــ"الحملة الآثمة " ، والدكتور أحمد مكي الأنصاري يصفهم أحياناً بـــ"المتآمرين " ، أو يصفهم أحياناً أخرى بأوصاف تتهمهم في نواياهم ومقاصدهم.

ونجد كذلك الدكتور سعيد الأفغاني ينهج نفس النّهج ويتّهم النّحاة بالتعصب ، والجهل بعلم القراءات ، والاضطراب في المنهج ، ومجافاة الحق [1].

وهذه المواقف وإن كانت صادرة عن عاطفة دينية اتجاه القراءات القرآنية إلاّ أنّها لا تليق بمن اجتهدوا وورّثوا لنا هذا التراث الضخم في علوم العربية .

ولكن اللافت للنّظر أنّ دعاة النّحو القرآني لم يلتفتوا إلى شيء مهم وهو أنّ النّحاة ليسوا هم فقط من يطعن في القراءات بل هم تَبَعٌ في نقد القراءة لغيرهم ، وقد ذكر الشيخ عضيمة الطوائف التي

1- سعيد الأفغاني ، في أصول النّحو ، مرجع سابق ، ص: 33.

لحّنت القرّاء ، فمنهم الصحابة كابن عباس وعائشة –رضي الله عنهما – ومنهم التابعون كشريح ، ومنهم النّحويون كأبي عمرو بن العلاء والكسائي ، ومنهم القرّاء كأبي بكر بن مجاهد ، وغيرهم [1].

فالنّحاة كما هو واضح ليسوا وحدهم في هذا الموقف من القراءات ، فالصحابة والتابعون والقرّاء وقعوا في ذلك لسبب أو لآخر دون أن يطعن فيهم باقيهم في دين أو أمانة ، وهو ما يدل على أنّ المناخ العام لم يكن يحظر ذلك .

وقد بدأ هذا الموقف من النّحاة يتلاشى في القرن الرابع الهجري بسبب تأليف ابن مجاهد لكتابه " السّبعة" في القراءات .

وعلى الرغم من وضوح الأقوال الدالة على ردّ كثير من النّحاة للقراءات إلاّ أنّ بعض المعارضين للنّحو القرآني يرفض ذلك ذاهباً أنّ النّحاة لم يقصدوا طعناً في القراءات ، من ذلك ما يقوله محمد حسن عواد :"ولا يعول على ما نسب إلى بعض النّحاة كالفرّاء والمبرد والمازني والزمخشري من طعن في بعض القراءات القرآنية ..."[2] ثمّ علل موقفه هذا بأسباب ذكرناها سابقاً : [3]

الأول : هذا الموقف لا يمثل النّحاة جميعاً ، إنّما هو محصور في بعض النّحاة .

الثاني : دافع نحاة آخرون عن القراءات كأبي حيان الأندلسي ، وابن هشام ، وغيرهم .

الثالث :أنّ هذه الطعون تمثل أحرفاً معدودة ...

الرابع : أنّ التعبير قد خان بعض النّحاة حين وصف بعض القراءات باللحن أو الغلط أو الوهم...

1- محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ق1، ج1،ص: 44-92.

2- محمد حسن عواد ، قراءة في كتاب نظرية النّحو القرآني ، مرجع سابق ، ص: 138.

3- ينظر : ص:63.

ولا شك أنّ هذا تهوين من أمر هذه المسألة تهويناً لا يليق بتأثيرها في قواعد العربية.

ويجدر بنا في هذا الموضع ذكر بعض الأمثلة من القراءات التي خالفت قواعد النّحاة ونادى بضرورة الاعتماد عليها في التقعيد دعاة النّحو القرآني ، للوقوف على جواز ذلك من عدمه مع الترجيح :

1- في قوله تعالى :﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ [النساء :1] ، فقد قرأ حمزة بن حبيب بجر (**الأَرْحَامِ**) ، وقرأ الباقون بنصبها.وقراءة حمزة متواترة اتصلت بأكابر الصحابة الذين تلقوا القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم بغير واسطة،كعلي وعثمان وبن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم [1].

هذه القراءة خالفت القاعدة النّحوية ، حيث إنّ القاعدة لا تجيز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار [2].

والراجح جواز العطف على الضمير من غير إعادة الجار ، وذلك للأسباب التالية :[3]

أ- إنّ إنكار عطف الظاهر على المضمر المجرور ليس في مطلق الأحوال ، وإنّما ينكر عطف الظاهر على المضمر إذا كان ضمير غيبة ، ولم يجر له ذكر فتقول : (**مررت به وزيد**) فهذا غير مستقيم ، أمّا إن تقدم له ذكر فهو حسن ، وذلك مثل :(**عمرو مررت به وزيد**) ، فكذلك الهاء في قوله :**﴿تَسَّاءَلُونَ بِهِ ﴾**، فقد تقدم ذكرها ، **وهو قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾**.

ب- السماع يعضد هذه القراءة ، فلهذه القراءة كثير من الشواهد القرآنية ، فمن الشواهد القرآنية على هذه القراءة : قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

1-أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ، ج3، ص: 500.

2- سيبويه ،الكتاب ، مرجع سابق، ج2، ص:381

3- محمد عرفة السيد أحمد محمد العشري ، القاعدة النّحوية في ضوء القراءات القرآنية والشعر العربي ، مرجع سابق ، ص: 2309.

﴿ [النساء: 127].فالواو حرف عطف ،و(**ما**) معطوف على الضمير المجرور في (**فِيهِنَّ**) ، وقد تقدم ذكر الضمير وهو : (**النّساء**).

وقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: 217].فالواو حرف عطف ، و(**المسجد**) معطوف على الهاء في (**به**) ، وقد تقدم ذكر الضمير ، وهو : (**الشهر الحرام**) .

فكثرة الشواهد القرآنية من مؤيدات جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، وهذا يدل على جواز العطف، وإنْ كان الأكثر أنْ يعاد الجار.

2- في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأنعام: 137].فقد قرأ ابن عامر وحده ، بضم الزاي (**زُين**) وبرفع اللام من (**قتلُ**) ، ونصب الدّال من (**أولادَهم**) ، وخفض الياء من (**شركائِهم**) ، وهذه القراءة فيها فصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المصدر .

والبصريون قالوا: لا يجوز الفصل بين المتضايفين إلاّ في الشعر بالظرف والجار والمجرور فقط [1].

قال سيبويه : "ولا يجوز : "**يا سارق الليلة أهل الدّار** " إلاّ في الشعر ، كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور [2]. ويقصد بالجار والمجرور : المضاف والمضاف إليه .

1- سيبويه ، الكتاب ، مرجع سابق ، ج1 ، ص: 176-180.

2- المرجع نفسه ، ص: 176-177.

والراجح جواز الفصل بين المتضايفين وأنّ الاستشهاد بالآية في موضعه وقد أيّد أبو حيّان وغيره من النّحويين حيث قال : "وقرأ ابن عامر كذلك بنصب (**أولادَهم**) وجر (**شركائِهم**) فصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول وهي مسألة مختلف في جوازها ، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ولا يجيزون ذلك إلاّ في ضرورة الشعر وبعض النّحويين أجازها ، وهو الصحيح ، لوجودها في هذه الآية المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان "[1].

وقد وافق رأي أبي حيان بعض من النّحويين كابن هشام ، وابن عقيل ، والأزهري ، وكثير من دعاة النّحو القرآني والأدلة معهم في هذه المسألة حيث ذهبوا إلى أنّ القراءة لا تُتّبع أقوال مَنْ قال لا يجوز الفصل بين المتضايفين بل العربية تُتّبع القراءة .

3- في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحج :15] .قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي بتسكين لام (**لْيَقْطَعْ**) ، وهي قراءة صحيحة متواترة . فقد قرأ جمهور القرّاء السبعة بتسكين اللام [2].

قال المبرد : وإسكان لام (**ليقطع**) لحن ؛ لأنّ هذه اللام لو سبقت بالفاء ، أو الواو لكان جائزاً لأنّهما يصبحان وكأنّهما من نفس الكلمة ، أما وأنّها سبقت بـــ (**ثمّ**) ، فهي لحن ، لأنّ (**ثمّ**) منفصلة من الكلمة .

1- أبو حيّان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص: 229- 230.

2- طه الراوي ، نظرة في النّحو ، مرجع سابق ، ص: 323.

ووصْفُ المبردِ لها بأنّها لحن هو تطبيق للقاعدة المشهورة : أنّ العربية لا تبتدئ بساكن ، ولا تقف على متحرك [1].

تقول الدكتورة خديجة الحديثي : " وقد وقف ابن مالك من القراءات موقفاً مغايراً ، حيث كان يستشهد بالقراءات الصحيحة المتواترة ، كما كان يأخذ بالقراءات الشاذة ، وقد ردّ على علماء العربية الذين كانوا يعيبون على عاصم وحمزة قراءات بعيدة في العربية ، من ذلك:...، وعلى جواز سكون لام الأمر بعد (ثمّ) بقراءة حمزة :(**ثَمّ لْيَقْطَعْ**) ،وهي قراءات مردودة من البصريين وابن جنّي "[2].

هذه بعض الأمثلة من القراءات ، ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق ، حيث تعد هذه المسألة الشغل الشاغل لأصحاب النّحو القرآني لإثبات صحة ما يدعون إليه من ضرورة الأخذ بالقراءات والاعتناء بها وعدم ردّها ، وهذا في نظر الباحثيْن من أهم المجهودات الصائبة والجهد المشكور لدعاة النّحو القرآني لإثراء قواعد النّحو وفق استقراء كامل مما يستوجب حسب نظرنا إعادة تصفية النّحو من القواعد المعارضة لبعض القراءات المتواترة وذلك بأن نرفض القاعدة النّحوية التي لا تجيز عطف الاسم الظاهر على الضمير من غير إعادة الخافض ، والقاعدة التي تأبى الفصل بين المتضايفين وغيرهما من القواعد التي تصادم قراءة صحيحة .

1- عبد الفتاح محمد عبوش ، حقيقة رأي البصريين والكوفيين في الاستشهاد بالقراءات القرآنية على قواعدهم النّحوية ، مجلة دراسات يمنية ، العدد 88، ص: 159.

2- خديجة الحديثي ، الشاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه ، مرجع سابق ، ص: 50.

ثالثاً: بين النّحو القرآني والنّحو العربي:

من أولى الدراسات التي تعرضت للنّحو القرآني، دراسة عبد العال سالم مكرم أين عقد فصلاً لـــ" نماذج من النّحو القرآني " ولم يصرّح بوجوب الأخذ بهذه النماذج ، فقد مهد لذلك بقوله : " وهدفي من هذه النّماذج إنارة الطريق للباحثين في النّحو القرآني، وحسبي أن أحمل المصباح لمن يستخرج اللؤلؤ ، أو يكشف عن الجواهر ... فذلك يُغني اللغة وينمّي الأساليب ، ويجعل لغتنا غنيّة على الدوام "[1].

ثمّ جاء أحمد مكي الأنصاري وحاول أن ينظّر للنّحو القرآني وكأنّه يسلك الطريق التي أنارها عبد العال سالم مكرم ، فقال : والغاية منه توسيع قواعد النّحو ليصبح القرآن أصلاً والنّحو تابعاً له " . وهو يدعو إلى تظافر الجهود لإخراج (النّحو القرآني) وتعميمه في جميع البلاد العربية والإسلامية [2].

والحق أنّ في هذه الدعوى نظراً من وجوه : [3]

أ- أنّ هذ العبارة الموجزة (النّحو القرآني) التي يراد من ورائها إثبات أنّ للقرآن نحواً لم يتعرض له النّحاة ، فيها إهدار مروع لتاريخ طويل قام به علماؤنا من النّحويين لخدمة القرآن الكريم .

ب- أنّ هذه الدعوة – النّحو القرآني – قائمة على نظرة غير دقيقة لعمل النّحاة وحقيقة الدرس النّحوي ؛ إذ إنّ النّحاة ما كانوا يستخلصون قواعد العربية من القرآن ، بل قواعد العربية

1- عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النّحوية ، مرجع سابق ، ص: 306.

2- أحمد مكي الأنصاري ، سيبويه في الميزان ، مرجع سابق ، ص: 111.

3- محمد عبد الفتاح الخطيب، ضوابط الفكر النّحوي، مرجع سابق ،ج1، ص: 277-278.

من العربية نفسها !!.بمعنى آخر، أنّ النّحاة لم يكونوا يقعدون للغة في القرآن الكريم، وإنّما كانوا يقعدون للغة القرآن، وهي اللسان العربي .

ج- ثمّ إنّ إقامة الدرس النّحوي على اللغة في القرآن – كما هو شأن تلك الدعوى – يؤدي إلى انهيار قضية الإعجاز البياني في القرآن الكريم القائم على بيان السليقة اللغوية عند العرب ، وكيف جاء القرآن بما أعجز تلك السليقة .

ولعل ما يعزز هذه الوجوه التي قدّمها الدكتور محمد عبد الفتاح الخطيب هو ما ذهب إليه أحمد مكي الأنصاري بقوله : "وأمّا المقومات الأساسية لها جانبان : جانب الاتفاق ، وجانب الاختلاف ، أمّا جانب الاتفاق بين القواعد النّحوية والنّصوص القرآنية ، فهو الغالب الكثير وهو القسم الأكبر في هذه النظرية ، ..."[1].

فيعلق الدكتور محمد الخطيب : " إذا كان جانب الاتفاق بين القواعد النّحوية والنصوص القرآنية هو الغالب الكثير – بنص كلامه- فما الحاجة إذن إلى "نظرية النّحو القرآني "؟ ! [2].

يرى الباحثان أن ما ذهب إليه الدكتور محمد الخطيب له ما يقويه خاصة إذا ما وضعنا اعتراضات أصحاب النّحو القرآني في الميزان للوقوف على صحتها ومدى متانتها بعرض بعض الأمثلة التي نقدوا فيها منهج النّحاة الأوائل في تعاملهم مع القرآن الكريم وقراءاته :

1- أحمد مكي الأنصاري ، نظرية النّحو القرآني ، ص: 50-51، نقلاً عن (قراءة في كتاب : نظرية النّحو القرآني) للدكتور محمد حسن عواد ،مرجع سابق ، ص: 152-153.

2- محمد عبد الفتاح الخطيب ، ضوابط الفكر النّحوي ، مرجع سابق ، ص: 280.

- ثبت في استقراء النّحاة للعربية أنّ لكل فعل فاعلاً ؛ لأنّ القاعدة تتم فيه ومن خلال أمثلة سيبويه في الكتاب نجده يفصل لنا تلك اللازمية بين الفعل والفاعل قائلاً: " وهما مما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدّاً،...، وضمن ابن مالك ألفيته ما استقرّ لدى النّحاة من وجوب ولازمية الفاعل في التركيب إذ يقول :

وَبَعْدَ فِعْلٍ فَاعِلٌ فَإِنْ ظَهَرْ ***فَهُوَ وَإِلاَّ فَضَمِيرٌ مُسْتَتِرْ .

إنّ ما مرّ من أقوال النّحاة لم يصدر إلاّ عن استقراء للغة ، غير أنّ بعض المعاصرين زعموا أن الفاعل يمكن حذفه دون دليل وعدّوا ذلك من فرائد الاستعمال القرآني ، فقد ذهب الجواري منتقداً مذهبهم محتجاً بكثير من النّصوص القرآنية التي يرى فيها " أنّ العبارة القرآنية يشيع فيها أن يأتي الفعل وحده من دون أن يسبقه اسم ظاهر يصلح ضميره فاعلاً لذلك الفعل "[1].

ومن النّصوص التي استدل بها ، قوله تعالى :﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنۡ رَاقٖ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۝٢٨ ﴾ [القيامة: 26-28].

وقد علّق الجواري على هذا النّص بأنّه أوضح وأجل النّصوص دلالة على مذهبه ؛ لأنّ " ما لا يصلح للفاعلية فيه لفظاً أو معناً لا وجود لذكره في السورة من أولها إلى آخرها "[2] .

فالجواري يرى أنّ النّص القرآني ليس فيه ذكر لما يصلح أن يكون فاعلاً على أنّنا لو تتبعنا سياق السورة لرأينا أنّ فيها ما يصلح للفاعلية ، إذ قدّر الكثير من المفسرين أنّ الضمير المستتر في الفعل

1- أحمد عبد الستار الجواري ، نحو القرآن ، مرجع سابق ، ص: 27.

2- المرجع نفسه ، ص: 28.

(بلغت) يعود على (النّفس) ، قال أبو حيّان الأندلسي : " والضمير في (بلغت) عائد إلى النفس الدال عليها سياق الكلام "[1].

وبالاستناد إلى ما تقدم فإنّ ما يصلح للفاعلية مذكور في اللفظ صراحة في سياق السورة مرتين ، قال تعالى : ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ [القيامة: 2]. ثمّ في قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ ﴾ [القيامة: 14] . وبذلك لم يخرج النص الكريم عما اثبته النّحاة .

- مسألة أنكرها العلامة عضيمة على سيبويه : قال سيبويه : " وقال : (**أَكَلْتُ شَاةً كُلَّ شَاةٍ**) حسن ، و(**أَكَلْتُ كُلَّ شَاةٍ**) ضعيف ؛ لأنّهم لا يَعُمُونَ هكذا في زعم الخليل ".

قال عضيمة : " في الكتاب نص يمنع وقوع (**كلّ**) المضافة للنكرة مفعولاً به ... لم يعلق السّيرافي شرحه لكتاب سيبويه ... وهذا الذي منعه سيبويه والخليل قد جاء كثيراً في القرآن الكريم " ، ثم ذكر أنّ هذا ورد في القرآن في 36 آية وكان ينبغي للعلامة عضيمة أن يتروى في مثل هذا الحكم قبل أن يطلق هذا الاطلاق . لأنّ كلامه معناه أنّ الخليل – الذي عرف بعبقريته التي لا مثيل لها في هذا العلم– قد فاته مثل هذا الأمر الواضح الذي لا يخفى على من يقرأ القرآن ، ومعناه أنّه قد فات تلميذه سيبويه ، فلم ينتبه لهذا الأمر الواضح المتكرر في القرآن [2].

1- أبو حيّان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ، ج8، ص: 380.

2- أحمد بن جار الله الزهراني ، وآخرون ، صناعة التفكير اللغوي ، مركز تكوين للدراسات والأبحاث ، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1435هـ/2014م، ص: 173-174.

ولا غرابة في ذلك أنّ كلّ النّحويين لم يناقشوا هذه المسألة ولم يخطر على بال أحدهم حتى أن يذكروا فيها خلافاً ، فضلاً عن أن يخالفوا فيها سيبويه والخليل ، ولذلك كان على العلامة عضيمة أن يتأنى ويراجع نفسه ؛ إذ لعله أخطأ في الفهم .

ولتجلية هذه المسألة أكثر فإنّ سيبويه نفسه قد استعمل هذا الأسلوب الذي أنكره عليه عضيمة ، قال سيبويه : " ومن ذلك قولهم : (**كل شيء ولا هذا**) و(**كل شيء ولا شتيمة حر**) ؛ أي : إئت كل شيء ولا ترتكب شتيمة حر " .إذن مقصود سيبويه مبني على معنى قول العرب : (**أَكَلْتُ شَاةً كُلَّ شَاةٍ**) فهذا معناه عندهم : أكلتُ شاة بالغة أعلى درجات الجودة ، ...لكن إذا أردت أن تقول في هذا المعنى (**أَكَلْتُ كُلَّ شَاةٍ**) فهذا ضعيف ، والسبب في ذلك أنّ العرب (لا يَعُمُون هكذا) ؛ أي : لا يستعملون لفظ العموم (**كل**) عند المدح بهذه الطريقة (لأنّه يصير موهماً) [1].

وبذلك يتضح لنا أنّه لا يليق التّسرع في الحكم وحمل كلام العلماء على الخطأ بدون روية وبدون دليل يسند ما نذهب إليه وإلاّ نكون قد أبعدنا النجعة ووقعنا في أخطاء شنيعة لا تغتفر .

- يرى الدكتور أحمد مكي الأنصاري أنّ سيبويه وقف من القراءات موقف المعارضة الصريحة في ثلاث قراءات ، وهي كالآتي : [2]

1- أحمد بن جار الله الزهراني ، وآخرون ، صناعة التفكير اللغوي ، مرجع سابق ، ص: 176.

2- محمد عبد المجيد، أبو سعيد ، موقف سيبويه من القراءات القرآنية في أصول النّحو العربي بين القبول والرفض ، مجلة التجديد ، المجلد السادس عشر ، العدد الثاني والثلاثون ، 1434هـ /2012م ص: 271-272.

أولها : قراءة النّصب في قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: 21] .بنصب (**سواءً**).

الثانية : قراءة إبدال الهمزة ياء في الوصل في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأعراف: 77] .

الثالثة :قراءة الرفع في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾[الأنعام: 154].

وبعد عرض الأنصاري لتخريج سيبويه لهذه القراءات ، عقّب عليه بالقول : " أمّا سيبويه ومن لفّ لفه من البصريين والمتبصرين فإنّهم يهاجمون هذه القراءة ويرمونها بالضعف والقبح والشذوذ ..."

وقد ردّ عليه الدكتور رمزي بعلبكي هذا الزعم ، ونفى أن يكون في الأمثلة السابقة معارضة صريحة ، وقال : إنّ الأمثلة الثلاثة التي ذكرها الأنصاري دليلاً لا يقبل الجدل على ما قاله من معارضة سيبويه الصريحة الاحتجاج بالقراءات ليست صريحة كما أراد لنا الأنصاري أن نعتقد: [1]

ففي المثال الأول يزعم الأنصاري أنّ سيبويه وصف قراءة :﴿ **سواء محياهم ومماتهم**﴾ بنصب (**سواءً**) بأنّها قبيحة ورديئة ، مع أنّ سيبويه في حقيقة الأمر لم يشر إشارة مباشرة إلى قراءة النصب ، ولا أجرى عليها حكمه القيمي ، وإنّما أشار إلى قراءة الرفع مثالاً للاستعمال الصحيح مقارناً بجملة (**مررت بعبد الله خير منه أبوه**) ، وقال : إنّ استعمال (**خيراً**) بدل (**خير**) لغة رديئة ؛ فليس هذا دليلاً صريحاً على رفض القراءة .

1- محمد عبد المجيد ،أبو سعيد ، موقف سيبويه من القراءات القرآنية في أصول النّحو العربي بين القبول والرفض، مرجع سابق ، ص: 272.

وفي المثال الثاني يرى الدكتور بعلبكي أنّ من الطريف أن نلحظ أنّ سيبويه وصف اللغة و لم يصف القراءة بالضعف حيث قال : " وزعموا أنّ أبا عمرو قرأ : (**يَاصَالِحُيْتِنا**) جعل الهمزة ياءً ، ثمّ لم يقلبها واواً. و لم يقولوا هذا في الحرف الذي ليس منفصلاً . وهذه لغة ضعيفة ".ولعل في هذا دليلاً آخر على احترام سيبويه للقراءات .

وكذلك الأمر بالنسبة للمثال الثالث ومن ثمّ كان الدكتور بعلبكي على حقّ حين قال : " من المبالغة الزعم بأنّ سيبويه عارض قراءات معينة معارضة صريحة [1].

وبالإضافة إلى ما سبق فإنّ ما سطّره يراع الدكتور سليمان خاطر في نظرنا لهو أبلغ ردّ على أحمد مكي الأنصاري في مبالغته في اتهام سيبويه والنّحاة بمعارضة القراءات وردّها .

يقول سليمان خاطر : " وهل يعرف مؤلف (سيبويه والقراءات) – وهو يقصد هنا أحمد مكي الأنصاري – أنّ أبا حيان لا يرفع كتاباً مُؤلفاً إلى مرتبة كتاب سيبويه الذي يراه هو المرقاة إلى فهم كتاب الله العزيز ، وهو الخبير بمواقفه من القراءات ومنهجه في الاستشهاد بها والاحتجاج لها ؛ إذ لم يدافع عنها أحد من العلماء بعد ابن مالك كما دافع عنها هو ، و لم نر له ولا لغيره من العلماء اتّهاماً واحداً لسيبويه إمام النّحاة ...

ومعروف عنه أيضاً أنّه لا يجامل أحداً في نقد القراءات مهما كانت مكانته ، ولو كان ثمّة مأخذ على منهج سيبويه في التعامل مع القراءات لأبداه أبو حيّان وأمثاله من الأئمة الأعلام والسلف الكرام .

1- محمد عبد المجيد، أبو سعيد ، موقف سيبويه من القراءات القرآنية في أصول النّحو العربي بين القبول والرفض، مرجع سابق ، ص: 273.

ولكنّه الجهل والتطاول واتخاذ نقد السلف مركباً إلى الشهرة والبروز والظهور وادّعاء البطولة ...أمراض استبدت بعض المعاصرين واستحكمت فيهم [1].

لقد وضع الدكتور سليمان خاطر النقاط على الحروف وانتصر لسيبويه والنّحاة الأوائل بما لا يدع مجالاً للشك أنّ ما عرضناه من أمثلة لاعتراضات أصحاب النّحو القرآني لم يخالفها الصواب في كثير من المسائل رغم صدق جهودهم في محاولة إصلاح النّحو العربي ووضع بديل كفيل بمعالجة ما يرونه من خلل وإن خانهم الأسلوب في كثير من نقدهم للنّحاة القدماء ولكن يشفع لهم أنّهم أصابوا في بعض جوانب القضايا المتعلقة بالقراءات القرآنية مما يجعل النّحو القرآني جدير بالدراسة ومزيد العناية والاهتمام من قبل الباحثين .

إنّنا نسجل بأنّ شدة النقد الموجّه من قبل أصحاب النّحو القرآني للنّحو العربي وأعلامه وخاصة سيبويه قد فتح الباب على مصراعيه لولوج بعض الدعوات المشبوهة والهدّامة تحت غطاء إصلاح النّحو تارة وتجديد النّحو وتيسيره لمواكبة التطور اللغوي المعاصر تارة أخرى .

ولإنْ كان أصحاب النّحو القرآني قد خانهم الأسلوب في النقد باستعمالهم عبارات التجريح وكثرة الاتّهامات فإنّ أولئك – أصحاب الدعوات المشبوهة– قد خانهم المبدأ والأسلوب والغاية ، كيف لا وهم يحاولون هدم صرح النّحو العربي وبالتالي طمس لغة القرآن من حيث يدرون أو لا يدرون !!.

1– سليمان يوسف خاطر ، التأويل النّحوي لوجوه القراءات القرآنية في كتاب سيبويه ومواقف النّحاة والمفسرين منه ، مرجع سابق ، ص: 189.

لقد ظهرت في العصر الحديث مجموعة أصيبت بالانبهار الحضاري وأعشاها بريق النظريات اللغوية الحديثة ، والمنتسبون لهذه المجموعة في الغالب هم من غير المتخصصين في الدراسات اللغوية ومن هؤلاء شريف الشوباشي صاحب كتاب (لتحيا اللغة العربية : يسقط سيبويه) وزكريا أوزون صاحب كتاب (جناية سيبويه /الرفض التام لما في النّحو من الأوهام) .

فالكاتب شريف الشوباشي " كل ما يبغيه هو تطور اللغة العربية بتقريب الفجوة التي تفصل فصيحها عن عاميتها ، ... وحتى تساير العصر الذي نعيش فيه ، ... وذلك من خلال تطوير قواعدها التي لم تتغير طوال عمرها البالغ خمسة عشر قرناً [1] .

وأمّا الكاتب زكريا أوزون فقد " قسا على القدماء قسوة بالغة وأطلق أحكاماً سريعة انفعالية لا تليق بحقّهم وينأى عنها البحث العلمي السليم ، كما دعا في كتابه إلى العامّية واتّخاذها لغة الحياة ، ودعا إلى إبطال الإعراب ، ودعا كذلك إلى جعل لغة القرآن لغة دينية حملاً على اللاتينية ، فضلاً عن دعوات أخرى منثورة في تضاعيف كتابه "[2].

إنّ الكاتبين ينحيان باللائمة على قواعد اللغة ومناهج تدريسها ، ويعدّان ذلك مصدر الضعف والتخلف ، ويتخذان من سيبويه منطلقاً لهما ، بحجّة أنّه سنّ في النّحو سنّة سيئة ، وسيبويه صاحب الكتاب رائد النّحو العربي بلا منازع ، وإسقاطه إسقاط للنّحو العربي .

1- إبراهيم عوض ، لتحيا اللغة العربية ، يعيش سيبويه ، مكتبة الثقافة ، الدوحة ، قطر ، 1426هـ 2005م ، ص: 11.

2- ملك محمد حسن إسماعيل ، جناية سيبويه الرفض التام لما النّحو من الأوهام ، تأليف زكريا أوزون ، دراسة نقدية ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 46، العدد 1 ، ملحق 2، 2019، ص: 79.

ومما يثير الاعجاب ما ردّت به الباحثة ملك محمد حسن إسماعيل على زكريا أوزون وهو في الحقيقة ردّ كذلك على الشوباشي وعلى كل من كان على شاكلتهما .

تقول الباحثة :" وأجد في كلام علي النجدي ناصف ، والمستشرق مايكل كارثر ، شاهديْن عدليْن عن العرب والعجم في بيان عبقرية سيبويه وسمو فكره اللغوي .

يقول علي النجدي ناصف : " ولقد صنع سيبويه للنّحو مالم يصنع أحد حتّى ليُعدّ بحقّ أستاذه الأشهر وإمامه المقدم ، ويُعدُّ كتابه فيه معيار العربية ، وكنزاً من كنوزها الزاخرة ، بما اشترع لها وجمع من ذخائرها ، وقد عرف القدماء فضله ، وأنزلوه في أئمة اللغة منزلته ".

ويقول مايكل كارثر : " سيبويه قدّم نهجاً عقلياً ، قدمه في دراسة التراكيب ، ثمّ الصرف ، ثمّ الأصوات في النهاية ، وتطابق منهجه مع النظام التحليلي الحديث ، فقد طبّق سيبويه منهجه بدقة بدون انحراف ، وبمصطلحات مقننة ".

ويرى كارثر أيضاً أنّ مكانة سيبويه لا تقلّ عن مكانة لغويين كبيرين حديثين هما : دي سوسير ، وبلومفيلد.

هاتان شهادتان في عمل سيبويه وعقل سيبويه ، واحدة تمثل العرب ، وثانية تمثل الأعاجم "[1].

1- ملك محمد حسن إسماعيل ، حناية سيبويه الرفض التام لما في النّحو من الأوهام ، مرجع سابق ، ص: 88-89.

وفي الأخير نقول إن استطاع دعاة التجديد أن يبتدعوا لنا قواعد أخف حملاً وأقرب تناولاً ، تغني غناء قواعد النّحو ، وتسد مسدّها ، إنْ استطاعوا ذلك فنحن على استعداد لأنْ نُقبل عليها ، وننصرف عن قواعد النّحاة ، ولكنّنا على يقين أنّنا نقف على أرض صلبة ، نرفض تركها من أجل نمو بعض الأعشاب الضارة التي نستطيع اجتثاثها ، ومن السفاهة ترك هذه الأرض الصلبة ، والانتقال إلى أرض رخوة ضعيفة لا تستطيع حمل تراثنا وإن بدت أكثر خضرة ، وأشد نضرة .

الخاتمة

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الطويلة والماتعة مع النّحاة والقرآن الكريم من خلال النّحو القرآني ، يمكننا القول أنّه لم يسبق أن تمّ التطرق إلى هذا الموضوع في جامعتنا – فيما نعلم– كما لم يتم بحث هذا الموضوع بهذه الصورة ، وقد خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج جاءت كالآتي :

1- ارتبط النّحو القرآني عند المحدثين بالإرهاصات الأولى لمحاولات تيسير النّحو وإصلاحه ، حيث ارتفعت أصوات في العصر الحديث تنقد القواعد التي وضعها النّحاة وتنادي بنحو مستخلص من لغة يؤيدها السماع ، نحو منطلقه القرآن الكريم وقراءاته .

2- كانت أول خطوة في طريق الإصلاح هي الرجوع إلى لغة القرآن الكريم وتمثل معانيه وأساليبه وجعله المصدر الأول في وضع قواعد العربية .

3- لم يكن اصطلاح (النّحو القرآني) قد ظهر فجأة لدى المعاصرين بل سبقته دعوات ترجع في أصولها إلى ابن مضاء القرطبي ، وأول دراسة تمثل هذا الاتجاه دراسة الدكتور عبد العال سالم مكرم الموسومة بـــ(القرآن الكريم وأثره في الدراسات النّحوية 1965م) إذ أفرد الباب الثاني لـــ(نحو القرآن) ، ثم جاءت دراسة الجواري في كتابه (نحو القرآن) ، ثمّ الدراسة الموسوعية لعضيمة تحت عنوان (دراسات لأسلوب القرآن) وصولاً إلى أحمد مكي الأنصاري الذي دعا إلى النّحو القرآني بحماسة وسمّى كتابه بـــ(نظرية النّحو القرآني) .

4- لقد حاول دعاة النّحو القرآني إثبات صحة مذهبهم بالحجج المرفوقة بالنماذج التي رأوا فيها أنّ النّحاة الأوائل قد جانبوا فيها الاعتماد على القرآن كمصدر أول لوضع القواعد بدلاً من الشواهد الشعرية التي حفلت بها مؤلفات النّحو العربي .

5- ارتكز نقد أصحاب النّحو القرآني وخاصة الأنصاري على ردّ بعض النّحاة للقراءات القرآنية وتلحينهم لبعض القراء حيث اعتبروا أنّ القراءات القرآنية هي مركز الثقل لدعوتهم إلى النّحو القرآني .

6- لقد غالى دعاة النّحو القرآني في نقدهم لمؤسسي النّحو العربي وخاصة في اعتراضهم على سيبويه بما يشبه حملة منظمة يشوبها التجريح ويتجلى ذلك في مؤلفي الأنصاري :(الدفاع عن القرآن ضد النّحويين والمستشرقين) و(سيبويه والقراءات).

7- لقد انبرى عدد من الباحثين المعاصرين الذين انتصروا للنّحاة الأوائل وردّوا على أصحاب النّحو القرآني بأدلة وجيهة وحجج واضحة تنفي وترفض أن تجعل من النّحو القرآني بديلاً للنّحو العربي وفي مقدمة هؤلاء محمد حسن عواد ، وسليمان خاطر ، ومحمد عبد الفتاح الخطيب ، وإبراهيم رفيدة ، وغيرهم .

8- إنّ نقد النّحاة الأقدمين كان يتجه إلى اللغة التي جاءت عليها بعض القراءات ثمّ تصاعد هذا النقد في القرنين الثالث والرابع على أيدي البصريين وخفّت حدته في القرن الخامس ، وبمدرسة ابن مالك ثمّ أبي حيان كان الانتصار الواسع للقراءات ، فعمل النّحويين يتمم بعضه بعضاً ببناء اللاحق على السابق .

9- لقد ناقشنا حجج الطرفين وتوصلنا إلى أنّ :

- تلحين النّحاة الأوائل لبعض القراءات وردّها ثابت لاشتراطهم كثرة المسموع على شاكلة لغة العرب ، (وإلاّ يحفظ ولا يقاس عليه) هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فقد أصاب دعاة النّحو القرآني في بعض المسائل المتعلقة بالقراءات مما يستوجب إعادة تعديل بعض القواعد النّحوية حتى لا نهدر كثيراً من الاستعمالات القرآنية .
- من الممكن عمل استقراء جديد للاستعمالات القرآنية ، وأن تقسم الأحكام النّحوية بجانب ذلك قسمين :

الأول : أحكام غير مختلف فيها ، وهي ضرورية في اللغة ويؤدي الخروج عليها إلى الوقوع في اللبس ، وإلى فوضى الأحكام النّحوية ؛ وذلك كرفع الفاعل ، ونصب المفعول ، ونصب اسم إنّ ، ورفع خبرها ...فهذه إذا ورد في القرآن أو قراءاته ما يخالفها عُدَّ من المسموع الذي لا يقاس عليه فلا يحق مثلاً أن نقيم قاعدة برفع اسم (إنّ) لورود قراءة ﴿**إنّ هذان لساحران**﴾ [طه: 63].بتشديد النون ورفع (هذان) و(ساحران).

الثاني : أحكام مختلف عليها بين النّحاة وهي غير ضرورية ، ولا تؤدي مخالفتها إلى وقوع اللبس في فهم المعنى ، فهذه الأحكام إذا وردت آيات أو قراءات تخالفها فلا بأس في أن تجعل هذه الآيات أو القراءات أساساً لأحكام جديدة ، أو تلغى بها الأحكام السابقة ، ومنه فلا داعي لاشتراط البصريين عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه لورود القراءة الصحيحة بجوازه ، وهي قراءة

عبد الله بن عامر ، ولا داعي أيضاً لاشتراطهم إعادة الجار مع المعطوف الظاهر في حالة العطف على الضمير المجرور ، لورود القراءة الصحيحة بضده ، وهي قراءة حمزة .

وبذلك لا يغمط النّحاة الأوائل حقّهم فيما قدّموا من فكر نحوي هائل ، ولا يدعو إلى فتح باب الجواز أو القياس على كل ما خالف قواعدهم .

10- وأخيراً فإنّنا لسنا ندّعي أنّ قواعد العربية يجب أن تكون بمنأى عن النقد والإصلاح ، فهذا لا معدل عنه ما دمنا نسلّم بأنّ اللغة كائن حيّ، وعلينا أن نفرق عند كل إصلاح بين تلك الأصول العقلية التي استظهرها الأوائل في استنباط القوانين التي جرى عليها العرب في كلامهم ، وما بني على هذه الأصول من تطبيقات ، هذه التطبيقات هي ما تكون عادة مظنة لمعاودة النظر نقداً وإصلاحاً ، لتيسير القواعد جنباً إلى جنب مع اللغة وترتقي بارتقائها .وبذلك فإنّ النّحو القرآني يُعدّ بحق محاولة جادّة لإصلاح النّحو العربي وسدّ بعض الخلل فيه وهو بحاجة إلى مزيد من الاهتمام من قبل الدارسين والباحثين .

وختاماً نحمد الله تعالى كثيراً، ونشكره على ما أنعم علينا ويسره لنا في إتمام هذا البحث المتواضع ، والله نسأل التوفيق والسداد .

والحمد لله رب العالمين والصّلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس الآيات

فهرس الآيات

السورة	الآية	الرقم	الصفحة
البقرة	﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ ﴾	116	5
البقرة	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾	217	28
البقرة	﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾	9	29
البقرة	﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ ﴾	237	32
البقرة	﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾	44	34
البقرة	﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾	186	37
البقرة	﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾	152	43
البقرة	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾	274	47
البقرة	﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾	282	53
النّساء	﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	22	28
النّساء	﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾	1	30
النّساء	﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾	127	79
الأنعام	﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾	137	67
الأنعام	﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾	154	54
الأعراف	﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾	71	43
الأعراف	﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	56	47

الأعراف	﴿ لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾	10	52
الأعراف	﴿ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	77	88
الأنفال	﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنفال : 71]	71	36
الأنفال	﴿ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : 38]	38	36
التّوبة	﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾	100	6
هود	﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾	78	67
يوسف	﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ﴾	100	33
يوسف	﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾	77	35
يوسف	﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾	32	42
يوسف	﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾	45	44
يوسف	﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾	18	46
إبراهيم	﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾	22	31
الحجر	﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾	2	33
مريم	﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ ﴾	26	43
مريم	﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ ﴾	46	45
طه	﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾	63	28
طه	﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾	39	44
الأنبياء	﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾	78	32
الأنبياء	﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾	65	43

الحجّ	﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾	15	52
الفرقان	﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾	24	29
الشعراء	﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾	21	43
القصص	﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾	7	43
القصص	﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾	11	43
فاطر	﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾	4	35
يس	﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾	69	37
الزّمر	﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	12	44
الجاثية	﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾	21	88
ق	﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾	41	37
القمر	﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	49	75
نوح	﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى ﴾	21	43
القيامة	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾	17	2
القيامة	﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ ﴾	/26 28	85
القيامة	﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾	2	86
القيامة	﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾	14	86
المدثر	﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾	6	34
الضحى	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾	3	50

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية حفص .

❖ المصادر والمراجع

1) إبراهيم عبد الله رفيدة ، النّحو وكتب التفسير ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراتة ، ليبيا ، ط3، 1989.

2) إبراهيم عوض ، لتحيا اللغة العربية ، يعيش سيبويه ، مكتبة الثقافة ، الدوحة ، قطر ، 1426هـ 2005م.

3) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1999، ط1.

4) ابن مضاء القرطبي ، الردّ على النّحاة ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982، ط3.

5) ابن منظور، أبو الفضل بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (د.ت)،ج1

6) ابن منظور، أبو الفضل مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (د.ت)،ج2.

7) ابن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ج1.

8) أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1413هـ -1993م.

9) أحمد بن جار الله الزهراني ، وآخرون ، صناعة التفكير اللغوي ، مركز تكوين للدراسات والأبحاث ، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1435هـ/2014م.

10) أحمد عبد الستار الجواري، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، 1984، ط2.

11) أحمد عبد الستار الجواري ، نحو القرآن ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ط2، 1974.

12) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1982.

13)أحمد مكي الأنصاري ، الدفاع عن القرآن ضد النّحويين والمستشرقين ، دار الإتحاد العربي للطباعة ، توزيع دار المعارف ، 1393هـ-1973م القسم الأول .

14) حسن خميس الملخ ، رؤية لسانية في نظرية النّحو العربي ،دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1،2007.

15)خليل بنيان الحسون ، النّحويون والقرآن ، مكتبة الرسالة ، عمان ، الأردن ، ط1،1423هـ/2002م.

16) خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2، 2006، ج1.

17) خديجة الحديثي ، الشاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1974م، (د.ت)،(د.ط).

18) الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ،2008، ج1.

19) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1972،ج1.

20) الزركشي ، بدر الدين ، البحر المحيط في أصول الفقه ، دار الصفوة للطباعة والنشر ، الغردقة ، مصر ، ط2،1992، ج1.

21) سعيد الأفغاني ، في أصول النّحو ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ-1987م.

22) سيبويه ، الكتاب ،تح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،2004، ط4.

23) السيوطي ،الاقتراح في أصول النّحو،دار المعرفة الجامعية،(د.ت) ،1426هـ/2006م.

24) السيوطي ،جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن ،دار المكتبة الثقافية، بيروت، 1973، ج1.

25) الشافعي ،محمد بن إدريس ، الرسالة ، تح :أحمد محمد شاكر ، القاهرة ،(د.ت).

26) شعبان صلاح، مواقف النّحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار غريب، القاهرة، 2005.

27) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت،ط10،1977م.

28) عباس حسن، اللغة والنّحو بين القديم والحديث، دار المعارف، مصر، ط1، 1966.

29) عبد الرحمن الحاج صالح ، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة رغاية ، الجزائر ، 2012.

30) عبد الرحمن حاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007.

31) عبد العال سالم مكرم ، أثر القراءات القرآنية في الدراسات النّحوية ، مؤسسة علي جراح الصباح ،الكويت ،1978.

32) عبد العال سالم مكرم ، القرآن وأثره في الدراسات النّحوية ، مؤسسة علي جراح الصباح ، الكويت ،ط2، 1978.

33) عبد الوهاب حمّودة ، القراءات واللهجات ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1، 1368هـ-1948م.

34) علي أبو المكارم، أصول التفكير النّحوي، دار غريب، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

35) عمر أبو خرمة ، نحو النّص ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن ، 2004، ط1.

36) الغزالي ، أبو حامد ، المستصفى من علم الأصول ، دار الفكر ، (د.ت) ،ج1.

37) فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، دار الفكر ، الأردن ، 1420هـ /2000 ، ج1.

38) كاصد ياسر الزيدي ، دراسات نقدية في اللغة والنّحو ، دار أسامة ، عمان ، ط1، 2003.

39) محمد خير الحلواني ، أصول النّحو العربي ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2011.

40) محمد عبد الخالق عضيمة ، أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1،1405هـ .

41) محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن ، دار الحديث ، القاهرة ، 1425هـ/2004.

42) محمد عبد الفتاح الخطيب،ضوابط الفكر النّحوي،دار البصائر،القاهرة،مصر، 2006م.

43) محمد عيد ، أصول النّحو العربي في نظر النّحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1997، ط5.

44) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1988م.

45) محمد محي الدين عبد الحميد ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه منحة الجليل ، بتحقيق شرح ابن عقيل ، دار التراث ، القاهرة ، ط20، 1400هـ - 1980م، ج1.

46) منصور بن عبد الله الغفيلي ، مآخذ المحدثين على النّحو العربي ، وآثارها التنظيرية والتطبيقية ، مطبوعات نادي القصيم الأدبي ، السعودية، ط1، 1434هـ - 2013م.

47) هناء محمود اسماعيل ،النّحو القرآني في ضوء لسانيات النّص ،دار الكتب العلمية ، ط1، 2012 م.

❖ المجلات .

1) إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد ، جهود الجواري النّحوية بين الأصالة والتجديد ، مجلة جامعة المدينة العالمية ،(مجمع) ، العدد الخامس عشر ، يناير 2016.

2) إبراهيم طبشي ، أصالة الدرس النّحوي العربي من وجهة نظر الأستاذ الحاج صالح مجلة الأثر ، العدد 29/ ديسمبر 2017.

3) أحمد مكي الأنصاري ، دفاع عن كتاب الله (القرآن ... والضرورة الشعرية) ، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، العدد العشرون ، 1421هـ - 2000م .

4) أحمد مكي الأنصاري ، سيبويه في الميزان ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء الرابع والثلاثون ، شوال 1394هـ / نوفمبر 1974م .

5) خير الدين فتاح عيسى ، وعماد مجيد علي ، ردود الشيخ عبد الخالق عضيمة على النّحاة في كتابه دراسات لأسلوب القرآن ، مجلة جامعة كركوك ، العدد : 1، المجلد 4، السنة الرابعة 2009.

6) صالح محجوب محمد التنقاري ، موقف النّحاة من القراءات : دراسة تأصيلية ، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، السنة الأولى ،العدد الأول ،2009.

7) طه الرّاوي، نظرة في النّحو، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، المجلد الرابع عشر، الجزء 9،10.

8) عبد الفتاح محمد عبوش ، حقيقة رأي البصرين والكوفيين في الاستشهاد بالقراءات القرآنية على قواعدهم النّحوية ، مجلة دراسات يمنية ، العدد 88.

9) كامل بناي العلايلي ، استقاء قواعد النّحو من القرآن ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، دبي ، ع3، 1997.

10) محمد بن عمار درين ، الصبغة الشعرية للنّحو العربي بين الحقيقة والادّعاء ، مجلة الدراسات اللغوية ، مج 9 ،ع2،(ربيع الآخر ، جمادى الآخرة ، 1428هـ/مايو، يوليو،2007م).

11) محمد عبد المجيد ، أبو سعيد ، موقف سيبويه من القراءات القرآنية في أصول النّحو العربي بين القبول والرفض ، مجلة التجديد ، المجلد السادس عشر ، العدد الثاني والثلاثون ، 1434هـ /2012م.

12) محمد عرفة السيد أحمد محمد العشري ، القاعدة النّحوية في ضوء القراءات القرآنية والشعر العربي ،حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، العدد 7، 2017م .

13) محمد حسن عواد ، قراءة في كتاب : نظرية النّحو القرآني ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، المجلد السابع ، العدد (1/أ) – 1433هـ 2011م .

14) ملك محمد حسن إسماعيل ، جناية سيبويه الرفض التام لما النّحو من الأوهام ، تأليف زكريا ملحق 2، 2019.أوزون ، دراسة نقدية ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 46، العدد 1 ،

15) هناء محمود اسماعيل ،مصطلح النّحو القرآني ،دراسة تأصيلية في المفهوم والاصطلاح ،الجامعة العراقية ، كلية الآداب ،مجلة مداد الأدب ، العدد 14.

16) وفاء عباس فياض ، النّحو القرآني في ضوء منهج جديد (المدونة المغلقة) ، جامعة كربلاء ، كلية العلوم الإسلامية ، مجلة الأستاذ ، العدد222- المجلد الأول – 1438هـ/2017م.

❖ **الرسائل والبحوث الجامعية .**

1) دير نسرين ،" الاتقان في النّحو وإعراب القرآن " لـ هادي نهر " دراسة نقدية ، رسالة ماستر ، إشراف : هشام بلخير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، الجزائر ، 2017-2018.

2) زكي فليح حسن الموسوي ، نحو القرآن في دراسات المعاصرين (دراسة نقدية) اطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، إشراف : عبد الجبار عبد الأمير هاني ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، العراق، 2013-2014م.

3) سليمان يوسف خاطر ، التأويل النّحوي لوجوه القراءات القرآنية في كتاب سيبويه وموقف النّحاة والمفسرين منه ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، العام الجامعي :1417هـ-1418هـ/1996م-1997م.

4) سليمان يوسف خاطر ، منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين عليه ، أطروحة دكتوراه ، إشراف : عبد الله الطيب والخير يوسف نور الدائم ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، العام الجامعي 1420_1421هـ/1999-2000م.

5) محمد بن حجر ، الاستدلال في كتاب سيبويه –طبيعته وأنماطه–، أطروحة دكتوراه ، إشراف : مخلوف بن لعلام ، جامعة البليدة ، الجزائر ، العام الجامعي 2013.

6) نازك نبيل العزام ، الشواهد النّحوية في كتاب سيبويه ، رسالة دكتوراه في جامعة اليرموك ، إشراف : سمير استيتية ،إربد ، الأردن ، ط1، 2013.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
الشكر والتقدير	
مقدمة .	أ
مدخل: مصطلحات ومفاهيم.	2
الفصل الأول: النّحو القرآني : دواعي نشأته أسسه ومظاهره ..	9
المبحث الأول: النّحو القرآني المفهوم والمصطلح .	9
أولاً: تأسيس المفهوم الاصطلاحي.	9
ثانياً: إنتاج المصطلح وصناعته عند المحدثين.	11
المبحث الثاني: دواعي نشأة النّحو القرآني ومصادره:	15
أولاً: دواعي نشأة النّحو القرآني .	15
ثانياً: مصادر النّحو القرآني.	17
ثالثاً: أشهر رواد النّحو القرآني .	18
المبحث الثالث: أسس ومظاهر النّحو القرآني.	25
أولاً: أسس النّحو القرآني .	25
ثانيا: مظاهر النّحو القرآني .	27
المبحث الرابع: نماذج من النّحو القرآني .	29
1- مراعاة لغات العرب.	29
2- في الإضافة .	30
3- ياء المتكلم بين الفتح والكسر.	31
4- المثنى.	32
5- مجيئ المصدر المؤول مضافاً إليه.	32

6- رُبَّ وتعلقها بالفعل المضارع. 33
7- دخول (واو الحال) على الفعل المضارع المثبت. 34
8- مجيئ فعل الشرط مضارعاً والجواب ماضياً. 35
9- الاسم المنقوص المقترن ب(ال). 36
الفصل الثاني: النّحو القرآني بين القبول والرفض. 40
المبحث الأول: أدلة الدّاعين إلى النّحو القرآني. 40
أولا : موقف النّحاة الأوائل من الشاهد القرآني. 40
ثانياً : طعن النّحاة الأوائل في القراءات. 48
ثالثا : منهج النّحاة في التقعيد. 53
المبحث الثاني: حجج المعارضين للنّحو القرآني. 57
أولا: الاعتماد على الشعر. 59
ثانياً: النّحاة والقراءات. 62
ثالثاً: أصالة النّحو العربي ومنهج النّحاة. 68
المبحث الثالث: موازنة وترجيح . 72
أولاً: دعوى قطيعة النّحو مع القرآن والاعتماد على الشعر. 73
ثانياً: مسألة النّحاة والقراءات. 75
ثالثاً: بين النّحو القرآني والنّحو العربي. 83
الخاتمة. 95
فهرس الآيات. 100
قائمة المصادر والمراجع . 104
فهرس الموضوعات. 113